مساهمة في كتابة تاريخ حركة التحرر الوطني

الشباح مكي

مذكرات مناضل اوراسى

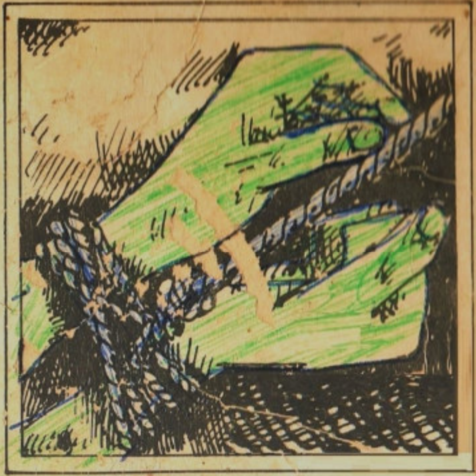

الشباح مكي

مذكرات مناضل اوراسى

Scanné Par : Mazigh YAHIA

مساهمة في كتابة تاريخ حركة التحرر الوطني

مذكرات مناضل اوراسي

الشباح مكي

مقدمة

ان أهمية مذكرات المناضل الشباح مكى - والتى ننشرها اليوم ملخصة - لا تنحصر فيما يرويه من أحداث غريبة عاشها ومنها الحكم عليه بالسجن دون محاكمة ، و سوقه مكبل اليدين - بأمر من المدعو شيخ العرب الباش آغا بن قانة - فى ذيل جواد من بسكرة حتى بلدة أولاد جلال (75 كلم) سيرا على الاقدام والقائه فى سجن الموت الرهيب المسمى بسجن " المطبق " مقتاتا بأحد عشرة تمرة وزجاجة ماء فى اليوم ، وما شاهده من طغيان الحكم العسكري فى الجنوب الجزائري ، ومن استغلاله المقيت لجماهيرنا العاملة والفلاحين بمشاركة شراذم معروفة من قياد وباش آغوات ، وكبار ملاكى الاراضى الى ماهنالك من العناصر والفئات التى باعت ضمائرها لقاء ما تتنازله من فتات موائد الالغاصبين.

ولا تنحصر فى ما قام به ورفاقه من النضال الجريء الشاق والمرير لوضع حد لتلك الاوضاع المهينة لجماهير شعبنا العاملة والفلاحين ، وما تحمله فى سبيل ذلك من مختلف أنواع القهر والسجن والتعذيب والتشريد. وانما أيضا فى كون كفاحه هذا الذى قام به بتوجيه من حزبه الشيوعى الجزائري كان يمثل مرحلة جديدة فى تاريخ صراع شعبنا المعادي للاحتلال الفرنسى لم يعهد المستعمرون الفرنسيون له مثيلا فى الجزائر.

تمثلت تلك المرحلة فى النضال السياسى الوطنى منه والاجتماعى المنظم ، وبالاخص بين جماهير الارياف من عمال الزراعة وصغار الفلاحين لجمع كلمتهم وصهر وحدتهم من خلال كفاحهم اليومى داخل منظماتهم النقابية الجزئية و حثهم على انتزاع حقهم فى التنظيم ومطالبهم الخاصة الامر الذي ضاعف من وعيهم ونضجهم الوطنى والاجتماعى رغم اشتداد القمع ، وغرس الايمان فى نفوسهم بحقهم وبعدالة قضيتهم وبحلفائهم من عمال المدن والقرى وكافة القوى التقدمية والثورية فى الجزائر وعبر العالم وبأهمية النضال الثوري المنظم كأنجح طريقة لتحقيق مطالبهم الوطنية والاجتماعية العاجلة منها والآجلة .

أزعجت هذه الظاهرة الجديدة فى نفس الوقت غلاة المستعمرين وأعوانهم من الجزائريين الذين اعتادوا على نهب خيرات بلادنا واستغلال جماهيرها العاملة والفلاحين دون محاسب أورقيب ، وأقلقت مضاجعهم فتبلبلت أفكارهم تجاهه وتشاءموا من وجودها بعد ما شاهدوا فيها ، ومن خلالها مسا بامتيازاتهم ونذيرا بنهايتها ، دون التمكن كالعادة من اغراقها بدماء القائمين بها بقوة الحديد والنار.

لا سيما وأن هذا التنظيم الجديد الذي تمكن المناضل شباح مكى ورفاقه من غرسه فى صفوف جماهير الفلاحين وعمال الزراعة كان يتمكن بحذق فى تجنب استفزازات غلاة المعمرين وأعوانهم .

وقد ضاعف انتصار الجيوش السوفياتية والحليفة على انظمة الطغيان العنصري النازية ، فى هذا المد الثوري فى بلادنا كباقى العالم ، واعطاء دفعا جديدا وخاصة فى نواحى جبال الاوراس ، كما سيرى القارىء خلال مطالعته لهذا الكتاب القيم الذي يعتبر وثيقة حية فى تاريخ كفاح شعبنا القديم والحديث والذي يبرهن على الصراع بين شعبنا والمحتلين الفرنسيين لم يتوقف منذ اللحظة الاولى أي من يونيو 1830 الى انتزاع استقلالنا السياسى.

والملفت للنظر فى شخصية الشباح مكى الاوراسى هوالمزج المتواصل بين النضال السياسى والنضال الثقافى حيث نراه يؤسس الخلايا والفروع الحزبية والنقابية كما يؤسس فى نفس الوقت الجمعيات الفنية والثقافية .

وتبقى هذه المذكرات بصدقها وبساطتها وبعمقها أيضا أحسن مرشد للقاريء على صدق مانقول.

عبد الحميد بن الزين

06 مارس 1982.

يقول الشباح مكى الاوراسى ، بعد باسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه حماة الدين آباة الضيم ، بالله أستعين على كتابة هذه المذكرات للاجيال الصاعدة من أخوانى المناضلين الثوريين الذين يريدون التحرر من نير العبودية والاضطهاد ، ومن كل ظالم وطاغ ومن كل خائن ومنافق فى كل زمان ومكان ، والله أسأل أن يهدينا الى صراطه المستقيم وأن يختم لنا بالسعادة والغفران ، آمين يا رب العالمين.

في الهجرة وبعدها

تنتسب عائلتى الى عرش أولاد عبد الرحمن ، مشتى أكباش من دوار تاجموت فى الاوراس ، ولدت فى بلدة سيدي عقبة سنة 1894 ، وتربيت فى نفس البلدة وتعلمت القراءة والكتابة فى احدى كتاتيبها القرآنية ، وأنتمى الى عائلة فلاحية .

هاجرت عام 1924 الى فرنسا واتصلت هناك بمصالى الحاج وانخرطت معه سنة 1926 فى حزب نجم شمال افريقيا فى مدينة باريس وكانت الاحزاب آنذاك تعمل بشكل سري .
كنا نجتمع فى مقر الحزب الشيوعى الفرنسى ، وكان مصالى الحاج آنذاك منفيا من الجزائر . وقد أشار عليه الحزب الشيوعى الفرنسى بتأليف حزب يوحد نضال العمال المهاجرين من افريقيا الشمالية للدفاع عن حقوقهم .

عدت فى عام 1929 الى مسقط رأسى ، أى بلدة سيدي عقبة وفتحت مقهى كان بمثابة ناد. ثم أسست جمعية تمثيلية وأخرى رياضية تحت اسم ـ الشباب العقبى
عينت لهما زئيسا ، والاخ أحمد رضا حوحو رحمه الله كاتبا عاما ، وذلك قبيل سفره الى الحجاز ، وبدأنا فى عرض روايات تمثلية فى المقهى المذكور.

أتانا ذات يوم فى سنة 1936 الشيخ عبد الحميد بن باديس صحبة وفد من جمعية العلماء لالقاء درسا فى مسجد سيدي عقبة غير ان المدعو بشيخ العرب بن قانة منعنا من القاء ذلك الدرس فى المسجد المذكور ، فأعدت له جمعيتنا مكانا آخر فى بستان الشيخ الطيب العقبى ، حيث ألقى ذلك الدرس وعاد والوفد المرافق له مصحوبا بالسلامة .

منذ ذلك الوقت أصبحنا تحت مراقبة السلطات المحلية ، وكان بعض الوشاة يرسلون بتقاريرهم الى شيخ العرب بن قانة عن أعمالنا ونشاطنا ، ولما برأت المحكمة الجزائية فى الجزائر العاصمة ساحة الشيخ الطيب العقبى ورفيقه عباس التركى من تهمة مقتل المفتى /كحول/ أقمنا احتفالا فى نادي جمعيتنا ، وشاركنا فى هذا الاحتفال وفد من جمعية العلماء أتى من بسكرة ، ألقيت خلاله بعض الخطب والاناشيد الحماسية .

قدم السيد ابراهيم بن العابد شيخ سيدي عقبة بنا تقريرا الى حاكم بسكرة جاء فيه : اقام الشباح مكى احتفالا

فى محله ، ألقيت فيه خطب ، وهاجم فيها الخطباء من جمعية العلماء شيخ العرب - بن قانة - والسلطـات الفرنسية وكان الحكيم سعدان من بين الخطباء وكـان هذا الاخير آنذاك يمثل الفريق المعادى لابن قانة

استدعتنى السلطات المحلية لمكتب بن قانة فى بسكرة وقد وجدت نائبه و صهره المدعو فرحات بن بـو عبدة ، فابتدأنى بقوله : انك تريد القيام بثورة ضـد فرنسا فى سيدى عقبة ، وقد أقمت احتفالا دعوت اليـه جمعية العلماء والحكيم سعدان وألقوا خطبا تهجموا فيها على فرنسا وشيخ العرب بن قانة . فأجبته ان الحكيـم سعدان لم يحضر هذا الاحتفال ولم يتفوه أحد من الخطباء ولا بكلمة واحدة لا ضد فرنسا ولا ضد شيخ العرب بن قانة
- لمذا اذن أقمت هذا الاحتفال ؟ سألنى نائب بن قانة . فقلت له : أقمته بمناسبة اطلاق سراح الشيخ الطيـب العقبى وتبرئته من التهمة الموجهة اليه ، ثم أضفت قائلا وبهذه المناسبة أقيمت احتفالات فى سائر أنحاء القطـر الجزائري ، ونحن أولى فى القيام بهذا الاحتفـال ، لان الشيخ الطيب العقبى من بلدتنا وهو عالم من علمـاء المسلمين. فأجاب : اذا أردت أن تفرح به ، فافرح به فى قلبك أجل - قلت له - ان الفرح لا يكون الا فى قلب لكنه يجب أن يطفو على السطح : ولو أردت كتمانه كمـا تقول فسوف لا يعلم به الا الله . اننى دعوتك لاالتلقى عليا درسا - اجابني بحدة ، فقلت له : لقد أجبتك عن سـؤال أنت طرحته ، فصاح بى : أخرج من هنا ، وسأعلم هاتفيـا

شيخ بلدة سيدي عقبة بشأنك ، ليأتيني بالخبر اليقين ، وعد في المساء الى هنا . ارسل عند المساء احد دوايره (جنوده) في طلبي فوجدنا مكتبه مغلقا، فقال الى الدايرة ، انـه ينتظرك في منزله ، وكان منعزلا عن المدينة وهناك وجدنـا جوادا مهيئا للسفر معه احد دوايره فقال : لقد بلغت الحاكم بأمرك ، فأمر بحبسك شهرا في سجن اولاد جلال.
- لن اذهب للسجن دون محاكمة ، قلت له .
عندها امر الدايرة بشد وثاقي بحبل كان عنده ، وربطونـي خلف الجواد ، وقال له ، اذا رفض السير اهمز الجواد على الاسراع في السير ، اما ان يجري خلف الجواد واما ان يموت
- وهكذا ارغمت على السير 75كلم في اليوم ، وانا موثوق اليدين ، وكان الدايرة كلما مر بجمع من الناس ، يقول لهم هذا جزاء من يصادق سعدان وجمعية العلماء ، ويعادي بن قانة ، الى ان وصلنا الى مكتب بن قانة في مدينة طولقا ، وهناك وجدنا احد الاعوان الذي ابتدأني بقوله : ماذا فعلت يا ابي الشباح مكي ؟ وعهدي بك رجلا عاقلا.

فأجبته : لم أفعل شيئا يستحق هذا العقاب والاهانة .
فقال : لو لم تدخل يدك الغار لما لدغت. فأجبتـه : يكون الرجل أحيانا راقدا وتلدغه عقرب ، وقد سجن سيدنـا يوسف ظلما وعدوانا فما بالك أنا.
وكان فى المكتب شيخ فقال له : يبدو من اجابته السريعة أنه رجل سياسة ، فأجبتهما : لماذا لم تقولوا أن بن قانة رجل ظلوم غشوم وما عليك الا الصبر ، والا انكم تخافونه، ثم اضفت انني مستعد لقضاء هذا الشهر واقفا على رجـل

واحدة غير انكم ستعلمون بعد خروجي ماذا سأفعل بسيدكم عندما امروا الدايرة بمتابعة سيره ، لان وجودي يعد في نظرهم خطرا عليهم ، خوفا من أن يأتي اصحابي لانقاذي من ايديهم .

اقتادني الدايرة حتى واد -لزن وهناك وجدنا في انتظارنا أحد الدوايرة وكان هذا المكان الفاصل بين تخوم بسكرة واولاد جلال. حل ذلك الدايرة وثاقي وبدله بقيد من حديد ، فسرت معه مكبلا الى قرية الدوسن ، وكان المساء قد اسدل ستاره فطلبت من الدايرة شراء شيء من التمر لانني قضيت نهاري دون أي غداء ، فأجاب : لن نجد في هذا الليل من نبتاع منه تمرا ، فبت على الطوى . وفي الصباح الباكر اقتادني الى بلدة اولاد جلال. فاجتمع الناس حولي وبينهم من يعرفني ، واخذ بعضهم يسألني عن سبب اعتقالي فأجبتهم : لم افعل شيئا فلا تخافوا ولما اعياني الوقوف جلست على الارض الى ان أتى الحاكم العسكري وكان برتبة -قبطان - سألني : اي ذنب اقترفت ؟ فأجبته : لم أقترف أي ذنب ، ثم أضفت : الم يخبروك بأمري ؟ أجاب بلى ، لقد أعلموني هاتفيا بمجيئك وبوضعك في المطبق (السجن) شهرا . فقلت له : تسجنون العباد بضربة هاتف دون محاكمة ، اليست لديكم قوانين تعملون بها ؟ فسكت ، ولم يجبني ، فقلت له : انني بحاجة الى طبيب ، وقد أعياني المشي وانتفخت قدمي ، فلا أستطيع الوقوف .فأتاني بطبيب ، وبعد الفحص أشار عليهم بعدم تشغيلي لمدة 15يوما ، وبعد ذلك القوا بي في زنزانة

ضيقة ورطبة دون فراش ولا غطاء وكان طعامي 11 حبة من التمر في النهار وزجاجة ماء .

بعد السجن

أمروا بعد اعتقالي باغلاق النادى ، واستولوا على ما فيه من أثاث ، وقاموا ببحث بعض أعضاء جمعية التمثيل وحذروهم من الاتصال بي وقالوا بهم انه مشوش وعدو للسلطة الفرنسية ولابن قانة وأمروهم بالابتعاد عني وعلى الاثر، شنت جمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري والمساعدة الشعبية والحكيم سعدان حملة احتجاج ضد القمع الاستعماري والرجعى الجائر. فأرسلوا برقيات الاحتجاج للحكومة الفرنسية وعلى الجرائد الجزائرية ومنها جريدة الحزب الشيوعي الجزائرى و -البصائر- جريدة جمعية العلماء وجريدة -الدفاع- لامين العمودي ،و-الليالى- لمحررها الشيخ سي علي بن ساعد ، وبعض الجرائد الفرنسية .

عندما شاهد حاكم اولاد جلال العسكري اتساع حملة الاستنكار هذه ، حذر حاكم بسكرة من مغبة هذا العمل وقال له :اننى سأطلق سراح هذا السجين بعد انتهاء مدة سجنه ، والا فأنتم ستتحملون مسؤولية سجنه ،لا سيما وقد سجن دون أى تهمة . وبعد مرور الشهر أتاني أحد الدواير وأعلمنى باطلاق سراحي ، ثم أضاف عندك "زهر كبير"حيث خرجت من هذا المطبق سالما ، في العادة لا يخرج منه السجين الا بعد الموت ، ولولا دفاع أصدقائك عنك في

الخارج لما خرجت من هذا المطيق حيا. وأضاف : لقد حاول القبطان تعذيبك كالآخرين ، لكنه تراجع عندما شاهد الحملة الاحتجاجية العارمة ، خاف العقاب.

ذهبت بعد خروجي من المطيق (سجن الموت) لمشاهدة بعض الرفقاء فى مدينة أولاد جلال ، حيث أعلمونى بأن الادارة المحلية قامت ببحث أعضاء الجمعية الرياضية عني وسألوهم عمن أسس جمعيتهم ، الى ما هناك ... ركبت الحافلة فى الصباح الى بسكرة ، وفى طولقة وجدت أعضاء الجمعية الرياضية المحلية فى انتظاري ، وتناولت معهم الشاي في احدى المقاهي ، ثم تابعت سفري الى بسكرة وهناك وجدت جماعة الحكيم سعدان وجمعية العلماء فى انتظاري ، حيث قضيت ليلتي معهم ، وعند الصباح توجهت الى بلدة سيدي عقبة ، وكان فى انتظاري فريق من شبان الجمعيات الرياضية والتمثيلية ، الثقافى بمنتهى الفرح والسرور وسرنا معا فى موكب حافل . وفى المساء أتانى المسؤولون ، الواحد تلو الاخر ، فقلت لهم ان الفضل يعود للشبان ، أما أنتم فقد اربككم الخوف فأجابوني بأن السلطات المحلية قد هددتهم بالسجن وبالنفي ان هم اقتربوا منى ، وعادوا الي سابق نشاطهم . فقلت : ها أنا ذهبت الى السجن وعدت اليكم كما ترون سالما.

ان السجن - قلت لهم - في سبيل الوطن هو شرف وفرض على كل واحد منا ، وان أغلبية الزعماء سجنوا ومنهم من مات شهيدا في سبيل التحرر ، ونحن ما زلنا فى بداية الطريق لتكوين نهضة كسائر البلدان والشعوب الثائرة من أجل حقها

في الحياة ، تلك الطريق التى لا أحتم عليكم اتباعها ، أما ما يخصنى فقد آليت على نفسي مواصلة هذا الكفاح ومقاومة هذا الطاغية بن قانة.

أعلمتهم في نفس الوقت بنيتى في السفر للجزائر فأشاروا علي ببقائي معهم ، وقالوا لي : امكث هنا ونحن معك نسير ، فأجبتهم ، لقد حرموني من وسائل عيشى وصادروا كل ما أملك ، فكيف يمكنني البقاء ومن أين أعيش وأولادي الثلاثة ؟ فقال بعضهم : لك الحق ، اذهب الى الجزائر وهناك تجد شيئا من الحرية تمكنك من متابعة الكفاح ضد الطغيان ، مع الاحزاب و المنظمات الوطنية ، لأن هذا فى التراب العسكري كل شيىء ممنوع ، فقلت لهم : أُننى سوف لا أترككم ، بين يدي هذا الطاغية بن قانة ، وسأعود بعد الانتصار عليه ، وسترون ماذا سأفعل بهذا الجبار ، فودعونى آسفين ، ولأتمكن من السفر الى الجزائر بعت بندقية صيد كانت لدى.

اتصلت في الجزائر بالشيخ الطيب العقبي وأطلعته على أمري ، فأرسلنى الى أحد المحامين الفرنسيين يدعى -ديرلاد- فأشار علي باقامة دعوى ضد بن قانة لانه لا يجوز له ارسالك للسجن دون محاكمة ولا أن يقودك مشيا طالما أنك قادر على دفع ثمن السفر ، وهكذا كان.

ذهبت فيما بعد الى الحزب الشيوعي الجزائرى والتقيت بعلي بوكورط ، والرفيق بارتيل كاتب الحزب وكذالك عمار أوزقان ، وأعلمتهم بحادثة اعتقالى ، فأرسلوني للمساعدة

الشعبية وهناك التقيت بالرفيق ابري والرفيق العربي بوهالي ، فأخذوا لي صورة موثوق اليدين خلف حصان الدايرة ووضعوها في طابع كطابع البريد ، كتب عليها باللغة العربية الجملة التالية : هذا الجور والظلم في بلاد الصحراء ووزع ذلك الطابع في مختلف أنحاء العالم بواسطة الأحزاب الشيوعية في العالم وقد منعت السلطات الفرنسية استعمال هذا الطابع ، وفرضت على كل من تجده عنده شهرا من السجن وغرامة قدرها 500فرنك. ولا يزال هذا الطابع تحت اليد وسأقدمه عند طبع هذا الكتاب اذا سمحت الظروف بذلك.

انخرطت فى صفوف الحزب الشيوعي الجزائري ، وتركت حزب مصالي الذى حاد عن خطته الاولى ولا سيما بعد اتصال مصالي بشكيب ارسلان في جنيف ، وقد أشار عليه هذا الأخير بتأليف حزب قومي على نمط حزب هتلر في ألمانيا ، وأخذ يهاجم جمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي الفرنسي والجزائري ونقابات العمال - سيجيتي - ثم اسست جمعية تمثيلية باسم : -الكوكب التمثيلي الجزائري فى عام 1937 فى الجزائر العاصمة.

كنت الفت رواية تمثيلية بعنوان "فرعون العرب عند الترك" وسمح لنا رئيس بلدية بسكرة بتمثيلها ، وبعدما استأجرنا قاعة لتمثيل هذه الرواية ، وحافلة لنقل الممثلين الى بسكرة ذهابا وايابا وتم توزيع المناشير والصاق الاعلانات تدخل بن -قانة- لدى كوميسار الشرطة فى بسكرة لمنعنامن تمثيلها ، ولا سيما بعد أن شاهد صورته من خلال تلك الاعلانات أمام المشنقة ، وعلى الاثر أرسلت لنا الشرطة برقية

تعلمنا بمنعنا من تمثيل تلك الرواية.

أتاني الرفيق رولان رئيس الى محل عملي ، وكان يقوم بمهمة أمين سر الجمعية ليعرض علي البرقية المذكورة فأشرت عليه بطبع ألف بطاقة ، فقال : هل بامكانك تمثيل الرواية بهذه الطريقة ؟ أجبته بنعم ، غير أنني حذرته من اعلام أحد من الممثلين بهذا المنع. سافرت بنا الحافلة في اليوم المحدد الى مدينة طولقة ، وعلى جوانبها لافتات باسم الجمعية ، وعلم يحتوي على نجمة وهلال في مقدمتها ، مما أثار فضول الكثيرين ، فأجتمع في طولقة حولنا عدد كبير من السكان ، وقال لنا البعض بان بن قانة أصدر أمرا بمنع الرواية من التمثيل ، فأجبتهم بأن الرواية ستمثل وليحضروا غدا الى بسكرة ليروا ذلك بأعينهم.

وضعنا امتعتنا عند وصولنا الى بسكرة فى قاعة المسرح وتوجهنا الى نادي الحكيم سعدان ، حيث قوبلنا بحرارة وقدموا لنا مختلف المشروبات ، ولما طلبنا منهم ارسال أحد النواب ليرافقنا الى دار الشرطة لاعلامهم بتمثيل الرواية تلكوا في الجواب وقال لناسي علي كباس : انكم لن تستطيعوا تمثيل هذه الرواية ، لوجود جنود القارد موبيل garde mobile فقلت لهم : ان"القارد موبيل" لم يأتوا لمنع الرواية من التمثيل ، بل اتوا لامور سياسية غير أنهم اصروا على رفضهم.

أشرت على الرفيق رولان رئيس بالذهاب مع أمين صندوق الجمعية الى دار الشرطة ، واعلامهم بتمثيل الرواية المذكورة

وبأن الدخول غير مرخص الابطاقة الدعوة وقعنا نحن من جهتنا بتوزيع البطاقات الا على من نعرفهم من الديمقراطيين والتقدميين والعمال ، وعند البدء في تمثيل الرواية وقف الرفيق رئيس رولان عند الباب لمراقبة الدخول ، فأتى - الكوميسار - صحبة أربعة من رجال الشرطة يحاول الدخول فمنعهم أعضاء الجمعية من الدخول الا ببطاقة الدعوة ، فعادوا ادراجهم من حيث أتوا .

وجدنا عند رفع الستار قاعة تكتظ بالمدعوين ، ومثلنا الرواية كما أردنا دون منازع ، وألقيت في الختام كلمة عن دور التمثيل الحقيقي في حياة الشعوب ، واعلمنا الحاضرين بمحاولات التهديد والوعد والوعيد التي اتخذتها شرطة بن قانة لمنعنا من تمثيل هذه الرواية وها هي تهديداتهم تذهب أدراج الرياح أمام تصميمنا على مقاومة ظلمهم وطغيانهم . وفي الصباح قمنا بجولة في المدينة بالحافلة وكنا ننشد الاناشيد الوطنية ، وننادي بحياة الحكيم سعدان وبسقوط فرعون العرب - بن قانة - ثم واصلنا سيرنا الى طولقة وهناك ألقيت كلمة أمام الجمهور الذي اجتمع حولنا في وسط المدينة ، قلت لهم فيها : أين هي قوة سيدكم بن قانة الذي يزعم بأنه سيمنعنا من تمثيل هذه الرواية ، ها نحن مثلناها ، وعدنا اليكم سالمين. ولما اقتربنا من مدينة الجزائر ، قال لي بعض الممثلين : لقد غامرت بنا لتلقينا في السجون ، فأجبتهم : كلا ، ها قد رجعتم دون أن يمسكم أي أذى ، بل رجعتم منتصرين على الظلم والطغيان.!

وسجلتم تاريخا يذكر لكم على مر الاجيال، ولكنما قولكم لو استشرتكم في الامر ، هل كنتم توافقون على السير معي ام لا؟ فأجابوا : كلا ، وعليه قلت لهم - عرفت مسبقا أنكم لن توافقوا على ذلك ، فاعتمدت على الله وسرت بكم لقوله تعالى : فاذا عزمت فتوكل على الله ، فقال الرفيق رولان ، رئيس : انني كنت من الذين يظنون بأننا لن نستطيع تمثيل هذه الرواية ، فلا تلم الجماعة على موقفهم هذا .

محاكمة بن قانة

قمنا بحملة واسعة قبل الشروع في محاكمة بن قانة ، وفي اليوم الموعود، أقبلت الجماهير من كل حدب وصوب لمشاهدة هذه المحكمة الاولى من نوعها في تاريخ تلك المنطقة ، والا كيف يشارع رجل عادي فقير مثل الشباح مكي ، أكبر اقطاعي في المنطقة مثل شيخ العرب بن قانة ، مع أنه اعتدى وداس حقوق الكثير من الرجال ومنهم من هو اقدر وأغنى وأعظم جاها من الشباح مكي ، لم يجرأ منهم أحد على مخاصمته أمام المحاكم .

طلب المدعي العام الكلمة عند افتتاح الجلسة وقال :

- سيدي الرئيس ان الشباح مكي رجل مشوش وعدو لفرنسا كيف يسوغ لفلاح فقير ان يشارع عمدة فرنسا في القطر الجزائري شيخ العرب بن قانة . ان الشباح مكي لا يستحق سوى الطرد والابعاد الى جزر كيان لكي لا يبقى هذا المعتدي على شرف بن قانة وفرنسا معا يواصل اعماله الشريرة في

القطر الجزائري ، هذا ما أطلبه من المحكمة .

أجاب محامي الدفاع ـ ديرلاد ـ على هذا التهجم بقوله :

"أيها السادة القضاة ، أريد قبل كل شيء أعلامكم أني مارست القضاء قبلكم ، ولما شاهدت المحاكم لا تراعي القوانين ولا تعملبها تركت القضاء للتفرغ لمهمة الدفاع عن هؤلاء المظلومين الذين كلما حاول أحدهم الدفاع عن حقه اتهم بالتشويش ، إني كفرنسي أقول لكم بأنكم قد أطحتم باسم فرنسا بمثل هذه الكلمة ، حتى عافها هذا الشعب ، و مع هذا ، أريد ان أعلمكم أنني أتيت من مدينة الجزائر للاخذ بحق موكلي الشباح مكي ، لان هذا مستحيل اذ كيف يمكن التفكير بتفضيله على من يقدم لكم الهدايا ويدعوكم لمئاد ب المشوي وغيرها ويساعدكم على التوصل لأعلى المراتب والمجالس.

"أريد الآن مخاطبة سيادة المدعي العام الذي قال لكم بأن الشباح مكي عدو لفرنسا وليس جزاؤه سوى النفي والابعاد من القطر الجزائري ، ويستغرب سيادته مشارعة بن قانة امام هذه المحكمة ، أقول لك يا حضرة المدعي العام انك في مداولتك لم تقدم لنا ولو ببينة واحدة تثبت تهمة التشويش على موكلي الشباح مكي. وأطلب من حضرات القضاة تقديم اذا كانت لديكم ولو بينة واحدة تثبت ادانته لا شك انها غير موجودة ، ولو كانت موجودة كنتم قدمتوها ، اما استهجانك يا حضرة المدعي العام دعوة بن قانة للمثول امام هذه المحكمة فهو مردود عليك. ثم اضاف :أريد منكم يا حضرات القضاة اعلامي اذا كان هناك قانون يمنع الناس من دعوة بن قانة اذا اعتدى على أحد للمثول أمام المحاكم وليس بن قانة وحسب بل رئيس الحكومة الفرنسية بالطبع لا

يوجد قانون يمنع الشباح مكي من مشارعة بن قانة أو غيره ، اذا أذنب ، أمام المحاكم .

"والان ، أريد أن أشرح أمامكم من الذى يستحق تهمة مشوش وعدو لفرنسا ، لم تكن لديكم أى بينة تثبت بأن الشباح مكي مشوش ، وها أنا أعلمكم بأن الشباح مكي من الفلاحين الشرفاء الذين يتمتعون بسمعة طيبة ، ولديه رخصة بحيازة بندقية صيد قدمت له منذ خمسة أشهر فقط ، انكم تعلمون أن مثل هذه الرخص لا يحصل عليها في التراب العسكري الا من كانت سيرته حميدة ، وهذا ما يلاحض كافة التهم التى وجهها اليه سيادة المدعي العام .

"بعد اطلاعكم على سيرة الشباح مكي ، أريد أن . أطلعكم على سيرة بن قانة، ترك والد بن قانة ، بعد وفاته ديونا كثيرة عليه ، غير أن بن قانة أصبح من كبار أصحاب الملايين. ومن أين أتى بهذه الاموال ؟ .. مع العلم بان راتبه لا يضمن له سوى الكفاف من العيش ، انه اغتصبها من الفلاحين الضعفاء والعمال ، ومن الغرامات المالية والرشاوى ، ومن طلاب وظائف القيادة والحكم ومن القتلة والمختلسين ليطلق سراحهم ، هذا فضلا عن الاسفار للحج

أليس هذا هو الذي يستحق النفي والابتعاد وحتى القتل؟

لانه بابتزازه هذه الاموال باسم فرنسا التى وظفته لكي يعمل علىتحسين سمعتها فى القطر الجزائري ، واذا به يسعى للحط من سمعتها بمثل هذه الاعمال حتى كره هذا الشعب بفرنسا التى سلطت عليه مثل هؤلاء اللصوص المستترين باسم الحكومة .

"و أنتم يا جماهير الشعب ، يقولون أن بن قانة يستطيع أن يفعل ما يشاء : يسجن ويقتل ..... فلا يجوز محاكمته أقول أن هذا عين الظلال ودعايات يخوفونكم بها ، كما تخوف النساء ، أطفالهن عندما يقلن لهم "اسكت والا يجيك بورورو". ان اثبات صحة أقوالي هذه منوط بموقف محامي بن قانة ، فاذا اعترف باعتقال الشباح مكي وارساله الى السجن لجريمة ما اقترفها ، فاني أقبل هذا الاعتراف بشروط ان يقول بأنه تصرف بالشباح هكذا لأنه مجرم ، فاذا اعترف بهذا الشرط أمامكم ، هذا معناه ان بن قانة فوق القانون ، ولديه سلطة خارقة (شيعية الرقبة) ، وان لم يفعل فهذا معناه أن بن قانا تحت القانون ، وليست لديه أى سلطة خارقة (لا شيعة الرقبة) ولا غيرها.

"انكم تعلمون جميعا ان بن قانة هو الذى أرسل الشباح الى سجن أولاد جلال موثوق اليدين سيرا على الاقدام ومجرورا بذيل حصان ، ولن أطلبكم للشهادة ، لأنني لا أريد أن أعرضكم للخطر ، ولأنني أعرف سلفا نوع الجزاء الذي يناله أحدكم على يدي هذا الطاغية بن قانة ، والان أترك الكلمة لزميلي محامي بن قانة السيد - ماركيبول -.

"ان السيد بن قانة ، موكلي بعيد عن هذه التهمة ، و ليس له بها أي علم " هكذا أجاب محامي بن قانا فقاطعه المحامي -ديرلاد - قائلا :"ان قضيتي قد تكللت بالنجاح لهذا النكران ، وهذا ما جئت من أجله لأكشفكم وأكشف ألاعيبكم أيها الحكام ، وليس لاكتساب القضية كما أعلمتكم سابقا في بداية مداولتي .... وعندها رفعت الجلسة

وبعد قليل عادت المحكمة ، لتلقي بيانها بالحكم على الشباح مكي الفلاح الفقير المظلوم أداء ألف فرنك يؤديها الى بن قانة الغني ؟ يالها من مهزلة" ، وكانت هذه الجملة نهاية المداولة الجريئة لمحامي الدفاع - ديرلاد - في هذه القضية.

كان ذلك اليوم يوم فتح جديد للقوى الديمقراطية والتقدمية لا في منطقة بسكرة فحسب ، بل وفي كافة القطر الجزائري ، فتح ثغرة في جدار الحكم العسكري المستبد الرهيب في الجنوب الجزائري وعزز تصاعد الكفاح الوطني والتقدمي المتعاظم في القطر الجزائري.

سير القضية وادانة الحكم العسكري

لم تقف القضية عند هذا الحد ، أى عند حد الاقطاعي بن قانة بل شملت حكم التراب العسكري بأجمعه في الجزائر ذهبت فيما بعد الى باريس لحضور مؤتمر المساعدة - الشعبية الفرنسية وهناك القيت امام المؤتمر بيانا شرحت فيه ما يقاسيه شعبنا وما قاسيته انا شخصيا من استبداد وظلم حكم التراب العسكري والاقطاعي في الجنوب الجزائري، وفي ختام ذلك المؤتمر تألفت لجنة للدفاع عن سكان التراب العسكري باسم لجنة الشباح مكي ، وكان من جملة قراراتها ارسال لجنة تحقيق برلمانية للبحث في هذه القضية وغيرها من القضايا برئاسة السيد لفرزليار ، وكان النائب الشيوعي ميشال عضوا في هذه اللجنة.

بدأت هذه اللجنة أعمالها في بسكرة بحضور الحاكم العسكري وبعض كبار الموظفين في هذه المدينة ، وكان بن قانة من جملة المدعوين للمثول أمامها ، ولما هب بمصافحة النائب الشيوعي ميشال ، رفض هذا الأخير مصافحته قائلا : أنا لا أصافح يدا مخضبة بدماء الابرياء ، وبدم الرفيق الشباح مكي الذي أرسلته موثوق اليدين الى سجن أولاد جلال سيرا على الاقدام . فأجاب بن قانة : اسمح لي أن أقول لك أنهم أوقعوني في الخطأ . فقال له النائب ميشال : لا تردد مثل هذه الاقوال فان لي من الخبرة بمثل هذه التصرفات على يد طغاة امثالك ما يكفي ، ثم أضاف ، أتريد أن تشرح لي أسباب ارساله الى السجن ؟ فأجاب بن قانة : أرسلته للسجن لأنه شيوعي. فرد عليه النائب الشيوعي : هل لديك الحق بمنع الناس من أن يكونوا شيوعيين ؟ أتدري أنه يوجد اليوم في البرلمان الفرنسي 70 نائبا شيوعيا ، اذن فما عليك الا أن تأمر بسجنهم .

وجه رئيس اللجنة البرلمانية - لافرزليار - للحاكم العسكرى السؤال التالي : هل من الممكن معرفة الذنب الذي أوجب ارسالكم الشباح مكي الى السجن ؟ فأنكر الحاكم العسكري أن يكون له علم بهذه القضية ، وأن السؤال عن ذلك هو الكمندان العسكري في مدينة توقرت ولكن رئيس اللجنة أجاب : لا بد للكمندان أن يكون قد أعلمكم بالاسباب الداعية لذلك ، فقال الحاكم العسكري : أجل قد كلمني بالهاتف ، فتدخل النائب الشيوعي ميشال قائلا :
اذن أحكامكم توزع من خلال الهاتف دونما حجة أو قانون وهنا تدخل أيضا السيد -ايربو - أمين سير المساعدة

الشعبية الفرنسية موجها كلامه الى رئيس اللجنة السيد - لافرزليار - : انني بصفتي ممثل المساعدة الشعبية وبصفتي الطالب باجراء هذا التحقيق ، أرجوكم أولا، تسجيل أقوال السيد بن قانة ، الذي اعترف أمامكم بأنه أرسل السيد الشباح مكي الى السجن لا لذنب اقترفه بل بصفته شيوعيا لا غير. ثانيا - تسجيل افادة السيد الحاكم العسكري ، الذي اعترف أمامكم ايضا بأن اسباب اعتقال السيد الشباح مكي كانت انه تلقى محادثة هاتفية من جانب الكومندان العسكري في تقرت طالب فيها اعتقاله دون أي بينه .

ان هذا الاعتراف الأخير وحده ، اضاف السيد -ايربو - كاف لكشف هذه القضية أمامكم ، ولا سيما عندما قال لكم السيد الحاكم انه تلقى أمرا لاعتقال بالشهر سجنا على السيد الشباح مكي بواسطة الهاتف ان حكما من هذا النوع لا يقبله العقل ولا القانون ، وبهذا اطلب استئناف هذا الحكم الى فرنسا. ثم رفعت الجلسة بعد الاتفاق على هذا الاقتراح.

في الحرب العالمية الثانية

تركت الجزائر العاصمة عام 1939 في بداية الحرب العالمية الثانية ، بعدما أبعدت كباقي العمال من العمل (من معمل جوب - للدخان) اثر اضراب عام شنه العمال

دفاعا عن حقوقهم ، وذلك طبقا لقانون أصدره رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك - دلادييه - ويقضي بطرد المضربين عن العمل وتوجهت الى الاوراس عند أخوالي في دوار عابدي.

عندما علم حاكم الاوراس -فابي - بقدومي جمع القياد وحذرهم من وجود شخص مشوش يدعى الشباح مكي ، فاجابه القائد صالح هذا الشخص موجود عندي ويقيم لدى اخواله ونعرفه منذ صغره انه انسان عاقل وناس ملاح ، وقد ضيفني عندما ذهبت الى بلدة سيدي عقبة فاجابه الحاكم : اتضمنه ؟ نعم اضمنه ، اجاب القائد ، وفي الغد اعلمني ذاك القائد تناول طعام الغداء لدى اخوالي بما وقع له بالامس مع الحاكم - فابي - فشكرته على حسن موقفه وثقته .

اتاني بعد بضعة ايام رفيق يقال له علي بن ابراهيم من قرية املطان واقترح علي الاقامة في بلدته ، والعمل معه في شراء التمور ، واضاف : خير لك من البقاء هنا دون عمل ، وقد اخذت برأيه وسافرت والعائلة مع أبنائي الاربعة بعد عشرة أيام من اقامتي بقرية املطان ، سمعت في احدى الليالي طرقا شديدا بالباب ، فنهضت من نومي مذعورا لأرى من الطارق ، واذ بي امامي الحاكم فابي ودوائره شاهرين بوجهي أسلحتهم ، وقال لي : انا مسيو فابي ، اين السلاح؟ فقلت له : تفضل انت ومن اعلمك بوجود السلاح ليأخذه، ثم قال : اين غرفة رقادك ؟ وكان احد الدواير يعلو الغرفة "هذه ، هي غرفة رقادي " أجبته ، فقال دع زوجتك وأولادك يخرجون لافتش الغرفة ، ولما هم بتفتيش زوجتي دفعته عنها بشدة فاغتاظ وقال : ان زوجتك قبيحة ، فاجبته انك انت القبيح ، الا تعلم اننا معشر المسلمين لا يسوغ لاحد منا ان يمد يده لامرأة ليست من حريمه ، وما عليك الا

ان تأتي بامرأة تفتشها اليس هذا يدل على قبحك ؟ فسكت ودخل الغرفة ، فوجد حقيبة فيها بعض مجلات وجرائد الحزب الشيوعي الجزائري وبطاقات النقابات. فاستولى عليها وأخذ يعبث في محتويات الغرفة فسادا ، فافرغ ما لدينا من المؤون على ارض الغرفة ، القمح فوق الدقيق ، والعدس فوق الشعير و يدوس الكل بأقدامه وهو يتميز غيظا ، ثم قال أتوني بفأس و امر الدواير بحفر ساحة المنزل ، مدة ثلاث ساعات وكان يصحبه ستة جنود (دوايره) والقائد وحارس الحقول وأعوانه ، واعتقلوا تلك الليلة كلّ من وجدوه بالقرب من المنزل. كان بالقرب منا مقهى وبائع فول فاعتقلوهم جميعهم ، وقد وجدوا بينهم من يقامر ووجدوا مع احدهم مسدسا ولدى اثنين اخرين امواس "بوسعادي".

عندما أخرجوني من المنزل ، وجدت اهل القرية مجموعين في مكان واحد ، فقال لهم الحاكم اتعرفون من هذا ؟ فاجابوا جميعهم بالنفي ، فتوجه الى مدير المدرسة ويدعى محمد الصغير وكان يعرفني جيدا ، وقال له : كيف لا تعرف هذا وانت من منطقة بسكرة ؟ ثم اضاف : اتدري ما فعل هذا بشيخ العرب بن قانة ؟ وقد أتى هنا للاوراس ليفعل بنا ما فعله هناك ، ثم أمر القائد باقتيادنا لمدينة أريس ، كنا أحد عشر معتقلا ، فلما وصلنا الى قرية منعة ، قلت للقائد اني لا استطيع السير الى اريس مشيا على الاقدام ، والافضل ان نستأجر سيارة ، فامتثل لاقتراحي وكان سائقا يعرفني .

بدأ الحاكم في التحقيق معنا اثر وصولنا لأريس ، فقال لي أين محل اقامتك سابقا ؟ كنت أقيم لدى أخوالي أجبته، ولماذا أتيت الى قرية املطان ؟ اتيت لشراء وبيع التمور مع صديقي سي بومعراف ثم وجه السؤال الى صاحب المقهى: كيف تسمح بلعب القمار في مقهاك وانت مقدم ؟ لقد أصبحت عاجزا عن القيام بمهام المقهى ، ووليت ابني للقيام بها ، ثم توجه لبائع الفول ومن معه سائلا : لماذا تقامرون ؟ فاجابوا اننا لم نقامر من اجل الدراهم بل لمن يدفع ثمن الفول والقهوة ، واجاب صاحب المسدس : اني اقيم بعيدا عن القرية وأخشى السراق ليلا : واجاب من وجدوا معهما الامواس نفس الشيء.

قلت للحاضرين عندما اعادونا للسجن : ان المقصود من هذه الألاعيب كلها هو انا ، وكل ما اطلبه منكم ان تشهدوا زورا علي ، ولما علم الشيخ عبد الباقي باعتقال المقدم - صاحب المقهى - اتى للحاكم مطالبا باطلاق سراحه كرجل مقدم وثقة لدى الشيخ المذكور وبعيد عن المشبهات . فاجاب الحاكم : اني مستعد لاطلاق سراحه ومن معه فورا بشرط ، ان يقولوا ان المقهى وحانوت الفول للشباح مكي ، فاجاب الشيخ :"هذا ساهل جدا ، وقد طلبت الحكومة منذ زمن باعتقال هذا المشوش الذى اتى لينغص علينا عيشنا في الاوراس" ، وأخيرا اتفق الحاكم والشيخ مع المعتقلين أمرا علي ، وأطلق سراحهم .

دعاني "البريغادي" بعد اسبوع للتحقيق مرة أخرى ، وطرح علي السؤال التالي : لماذا تقول أنك أتيت لشراء التمور وانت تملك في املطان مقهى وحانوت دون ترخيص ؟

فأجبته : ان المقهى والحانوت لم يصبحا ملكي الا بعد دخولي السجن ، فقال : لست امزح معك ، وأنا أيضا أجبته وان ما أقوله لك هو الصحيح ،واسمح ان أشرح لك ذلك،فقال انا ما دعوتك الا لتتكلم ، حينا أجبته :

"ألم تقل جنا بك في التحقيق الاول مع المعتقلين للمقدم لماذا تسمح بلعب القمار في مقهاك ؟ الا يثبت ذلك ان المقهى للمقدم وليس لي ؟".

"انني رجل سياسة فاذا وجدت لدي ما يستوجب السجن فانا مستعد لهذا السجن اما التهمة التى تحاولون الصاقها بي فهى بعيدة كل البعد عني ، والدليل على ذلك انكم حين أتيتم لاعتقالي وجدتموني راقد في منزلي وليس في المقهى" ، فأجاب ، بامكاني تكذيب عشرة من الناس واصدقك انت ، ثم أمر الدرك بشحني الى سجن باتنة ، سألني آحد الدرك : ما لديك من أمتعة ؟ لدي حقيبة تحتوي على بعض المجلات والجرائد ، فأجاب كلا : ان السيد الحاكم يقول بان لديك مسدسا وزوج أمواس والمسدس لدى الحاكم .

اتى الرفيقان كوسو ، والبشير بن غزال لزيارتي في سجن باتنة وأوصيا مدير السجن بتحسين معاملتي ، وأتى من بعدهم بن قانة وقال لنفس المدير : بلغني وجود انسان شرير وخطير عندكم في السجن يدعى الشباح مكي ، فوصيتي لك ان تأمر بتقييده بالحديد وبالقائه وحيدا في السلول و الا فانه سيثير عليكم السجناء ويحطموا السجن.

استدعاني مدير السجن واطلعني على وصاية بن قانة نحوي ، ثم سألني : أليس أنت الذي أرسلك بن قانة للسجن

من بسكرة الى أولاد جلال موثوق اليدين في ذيل الحصان؟ نعم أجبته ، فقال : أوصيك بعدم القيام بمناقشات مع السجناء ، لانهم سيرسلون لك من يتجسس عليك ، وسأوصي حراس السجن بعدم تشغيلك،فشكرته .

مكثت في سجن باتنة ستة أشهر دون أى تحقيق ، الى أن أتاني يوما كاتب المحكمة صحبة ترجمان ، و أعلمني بمثولي ، عما قريب أمام قاضي التحقيق في باتنة ، ولما مثلت أمامه سألني اذا أريد الاكتفاء بالبحث القديم أم لدى ما أضيفه عليه ؟ فقلت له : المرجو معرفة التهمة الموجهه لي ، فأجاب : انك متهم بفتح مقهى دون رخصة ومحل آخر للقمار. عندها طلبت منه استدعاء من اعتقل معي في املطان لتجديد البحث معهم،ومنهم ، من اعترف أمام الحاكم بأن المحليين المذكورين لهما ، ولما طلبهم القاضي للتحقيق معهم مرة أخرى اعترفوا بالحقيقة كلها ، لتجنب مخاصمة من لامهم من الناس علي شهادتهم بالزور.

وقف معي يوم المحكمة اثنان من المحامين وهما : مسيو جورني ، والسيد غريب ، وأمراني بالسكوت أمام المحكمة وقالا لي : لان الاكثرية الساحقة من الشيوعيين اعتقلوا دون محاكمة وأرسلوا لمختلف المنافي والسجون وبعد المرافعة الاولى طلب المدعي العام من المحكمة بسجني خمس سنين وبخمسة اخرى نفيا من البلاد. وبعد مرافعة محامي الدفاع الذان طلبا بتبرئة ساحتي ، الا ان المحكمة أدانتني بعشرة اشهر سجنا وبخمس سنين نفيا .

ولما عدت الى السجن سألني المدير عن نتيجة المحاكمة فأخبرته بحقيقة ما وقع ، فنصحني باستئناف الحكم لان المحكمة ، كما قال لي في الجزائر ، بعيدة عن نفوذ بن قانة وأعوانه ، وبالفعل استأنفت الحكم ، ومكثت ثلاثة اشهر في سجن السركجي في انتظار المحاكمة ، وعندما وقفت امام المحكمة سألني الرئيس عن قضية المقهي وحانوت القمار وفتحهما دون ترخيص فأجبت : اسمحوا لي يا حضرات القضاة بطرح السؤال التالي امامكم. أمن المعقول ان ترسل الحكومة أحد حكامها في الليل الدامس مصحوبا بفرقة مسلحة من الجنود الى مسافة ستين كلومترا للبحث عن شخص فتح مقهى أو حانوت دون رخصة مع انه يكفي للقيام بهذه المهمة أحد حراس الحقول أو الدرك. والحقيقة هي انهم أتوا الى منزلي سألوني عن السلاح واين هو ؟ ولما لم يجدوا شيئا من هذا القبيل عمدوا الى تلفيق مثل هذه التهمة ، ثم اردفت قائلا واذا القيتم نظرة فاحصة على الملف فستجدون اعترافا صريحا لاصحاب هذه المحلات بمحلاتهم. فلما اعادوا النظر الى الملف قالوا لمحامي الدفاع السيدان ديرلاد وابن باحمد ، اللذان أوقفتهما المساعدة الشعبية والحزب الشيوعي الجزائري للدفاع عن قضيتي : لا حاجة للمرافعة ، لان الشباح مكي حسب رأى المحكمة بريء من التهمة الموجهة اليه عندها اجاب المحامي ديرلاد : المرجو اذن ان ترسل المحكمة بهذا الملف للولاية العامة ، لان بن قانة الذي لن يغفر للشباح مكي مشارعته ، يستعمل كل ما في استطاعته لحرمانه من الحياة في وطنه ، وعلى الاثر رفعت الجلسة وخرجت من السجن وعدت لبلادى واولادى.

مـع صغـار الفـلاحيـن

عدت عام 1944 للجزائر العاصمة ووضعت طلبا امام حزبنا الشيوعي الجزائري بتأسيس نقابة لصغار الفلاحين ، وذلك لانني وجدت باقي الاحزاب كلها ضاربة صفحا عن قضايا الفلاحين ، مع انهم كانوا يقاسون من أشد أنواع القهر والعراء ومحرومين من التموين ، ويخضعون لقوانين الاحواز الممتزجة وحكم السيف اى حكم التراب العسكرى ، بينما كان سكان المدن يتمتعون ولو بجزء ضئيل من الحريات ، لان المستعمرين الفرنسيين كانوا يخشون الفلاحين ، لذلك سلطوا عليهم أشد القوانين صرامة ، وكلفوا الجيش والدرك الفرنسى والباش آغوات والقياد بتطبيقها دون وازع أو حرج ، عليه أردت اخراج النضال السياسي الثوري من اطار المدن الى البوادي والجبال ، دفاعا عن هؤلاء الفلاحين من خلال تنظيمهم في نقابات فلاحية ، ولكي يتدربوا في الكفاح اليومي على الدفاع عن حقوقهم مثل اخوانهم العمال. ولما عرضت هذه القضية على الحزب وافق عليها ، وبالفعل تم تأليف قانون اساسي لهذه النقابات وتم ايضا تأليف ادارة نقابية لصغار الفلاحين وكلف الرفيق عبد الحميد بوضياف من المسيلة بالامانة العامة ، والرفيق محمد بادسى من تلمسان بالامانة المالية ، والشباح مكي بالتنظيم والتوجيه .

قمت في البدء بجولات في مناطق وهران ، الجزائر وبلاد القبائل ثم ذهبت الى منطقة الاوراس والتراب العسكرى ثم كلفت عام 1945 في شهر فبراير ، بالذهاب الى والي قسنطينة وتقديم القانون الاساسي لنقابة صغار الفلاحين ، كما

طلبت منه الترخيص لي للقيام بجولة في منطقة الاوراس لتنظيم الفلاحين،فسمح لي بذلك ، ذهبت في البدء الى بلدة سيدي عقبة ، هناك أتتني جماعة من دوار تاجموت -مشتة أكباش ، وطلبوا مني الذهاب معهم ، وتنظيمهم في نقابات الفلاحين وفي الحزب الشيوعي الجزائري لمقاومة ، ولا سيما ظلم القائد الغاشم عابدي الصغير. ذهبت معهم ، وهناك نظموا اجتماعا عرضت فيه أمامهم القانون الاساسي لنقابة صغار الفلاحين والحزب الشيوعي الجزائري ، وطلبت منهم اذا كانت لديهم القدرة على احتمال ما سيلاقونه من مختلف المشاق والسجون والتعذيب وحتى الموت ، فانني اسير معكم واذا خشيتم مقابلة الصعوبات ، فابقوا في خوفكم ولا تقولوا لقد غررت بنا .

انكم تعلمون - قلت لهم - ما لا قيته من سجون وعذاب منذ انخراطي في هذا الحزب وشروعي في النضال في صفوفه . فأجاب الرفيق رفرافي علي : اننا قابلون حتى ولو حكموا علينا بالاعدام رميا بالرصاص فوق قلعة أكباش ، كل ذلك أهون علينا من أقوال القائد عابدي الصغير :"المليح فيكم أنبول على قطوشتو ، وارحلكم من بلادكم كل عشيرة على داب واحد" ثم بدأنا بالعمل التنظيمي واتفق الجميع على تعيين سي تيمزوغت سليمان " مسؤولا عن منظمة الحزب الشيوعي الجزائري ، ومحمد بن مبارك ككاتب للنقابة .(1)

(1) الكثير من هؤلاء الرفاق سقطوا أثناء حرب التحرير في صفوف جيش التحرير الوطني والله يرحم الشهداء.

أتانا في ختام الاجتماع سي محمد قروف (2) وقال لي نطلب منكم ان تأتي الى دوار أولاش لتنظيم الحزب والنقابة فأجبته :اذهب في الحين الى الدوار وهي جماعتك ،وسنكون بعد الغد عندكم . وبعد خروجه بقليل أتى أحد الفلاحين من الدوار مستغيثا من عدوان القائد عابدي الصغير وقد أغلق المدرسة وطرد "الطالب" والتلامذة ، واستولى على مفتاحها ومضى،عندها قلت للجماعة : أتبعونى وسترون ما سيكون من امره .

سرت والجماعة واذا به آت الى تاجموت ، فلما رآنا ترجل عن جواده اتانا مسلما ، وكانت معرفتي به منذ أن كان دايرة لدى حاكم أريس ، فابى ، فبادرته بسؤالي : من الذي أمرك باغلاق المدرسة ؟ اذا كان الحاكم أمرك بذلك فسأذهب اليه ، وان كنت أنت الذي أغلقتها فسأشكوك اليه فأجاب وهو يرتعد هلعا :"يا خاوتي ، لا اله الا الله محمد رسول الله" قلت له لا تخف ، فأجاب : لقد ظننتكم مسلحين، فقلت له هات المفتاح اولا ، فناولني اياه ،"والان - قلت له اذهب الى سيدك الحاكم ، وقل له :ان الشباح مكي اخذ مني مفتاح المدرسة عنوة" ، فأجاب :"كلا لن أذهب للحاكم وانما أطلب منك السماح ، وان لا تبلغ امري" ، فأجبته :أنا لا أسامحك على اعمالك ولكن أنذرك منذ اليوم اياك والاقتراب من جماعة أولاد عبد الرحمن ، ثم ودعنا وذهب في سبيله .

(2) محمد قروف : كان يعلم القرآن ، عضوا للجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري ، شهيد حرب التحرير الوطنية .

ذهبت للمدرسة فوجدت "الطالب" بالقرب منها مغبونا تعلو الكئابة وجهه ، بعد التحية سألته عن سبب كآبته وانفعاله ؟ كيف لا، -أجابني الشيخ - وقد أتاني ذلك الطاغية القائد وأغلق باب المدرسة كما ترى ،واستولى على مفتاحها دون سبب. لماذا تسمح له بأخذ المفتاح ، قلت له فأجاب : انني أخشى الظلام ، ولكن أجبته : أما قرأت الاية الكريمة :"فلاتخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين" **أين** هو ايمانك وصلاتك التي تكرر خلالها كل صباح ومساء : الله أكبر الم تتدبر في معاني ما تقرأ من القرآن ؟ خذ هذا هو مفتاح مدرستك آت بالتلامذة لمتابعة دروسهم .

نظر الي مندهشا عندما شاهد مفتاح المدرسة واحتضنني وقبل جبيني قائلا : لله درك ، نسأل الله أن ينصرك على أعدائك ، وفي الحين لقيت التلامذة فرحين مستبشرين فسلموا علي ومن معي ، ثم التفت الى جماعتي وقلت لهم : أرأيتم اين صولاته ، وجولاته ؟ اين غطرسته - واعتزازه بقوته ؟ لقد تناثر كل شيء منه كما تتناثر أوراق الشجر في الخريف ، وشاهدتموه عاريا علي حقيقته بفضل موقفي وموقف حزبي الشيوعي الصحيح منه ومن كافة الظلام امثاله .

"ها نحن فتحنا أمامكم ابواب النضال الواعي الجريء فادخلوها و لا تخشوا سطوة الطغاة المستبدين ، وغرسنا في ربوعكم هذه الشجرة ، شجرة الحرية ، فأوصيكم الاعتناء بها لتأتي عما قريب أكلها ، وسيأتي اليوم الذي ستتمتعون فيه -بلا منازع - بثمارها الطيبة،ثم توجهنا الى دوار أولاش،

وكـــان بصحبتي سبعة رفاق وهـــم : طهراوي مصطفـــــى تيمزوغت سليمان ، ازمورن محمد المبروك ، صادقي محمــــد امزيان ، طهراوي سي الاخضر ، اكبادي سي ابراهيم ورفرافي علي (3) جاء هؤلاء الرفاق مسلحين فسألتهم : هل نود القيام بثورة أو بحرب حتى تأتون بهذا السلاح ؟ ردوا أسلحتكـــم فأجاب بعضهم : انك تعلم ان بيننا وبين أولاد أيوب عداوة قديمة ، فلا نذهب لبلادهم الا مسلحين . انني من عرشكـــم - قلت لهم - وها أنا معكم دون سلاح ، ثانيا ان هــــذا العداوة التي غرسها المستعمرون لتفريق صفوفكم ، يجـــب توجيهها لاعدائكم الحقيقيين : المستعمرون وأعوانهم ، وأن تكون بينكم وبين كافة الجزائريين المظلومين مثلكم الاخــــوة والمودة الصادقة ، هذا ما أريده ويريده حزبنا لكم .

أعاد الرفاق سلاحهم ، وسرنا سوية ، وقبل أن نصل الـــى الدوار التقينا برجل بهلول متجه نحونا ، ويدعى بو الصـــوف المبارك ، جاء ليأمرنا باسم سي محمد قروف بالعودة ، لان حارس الحقول (الشنبيط) هددهم بالاعتقال عند قدومي للدوار فأجبته : سر أمامي ولا تخف ، وأردفت قائلا هل تظن بانني جدي حتى يوثقني كتاف؟ استقبلنا الفلاحون عند قدومنـــا بالترحاب،سألت لدى وصولنا عن الحارس (الشنبيط) فأجابوني ها هو يحاول اغتصاب كبش من أحد الفلاحين ليقدمـــه هدية للقائد.فلما شاهدنا جاء نحونا مسلما وجلس بجانبـــي فسألته : أأنت قلت للفلاحين : - لو يأتي الشباح مكي لاوثقته كتافا؟ فاجاب : حاشى انا لم اقل ذلك ، فأجابه سي محمد قروف

(3) اغلبهم استشهد اثناء حرب التحرير .

بلى قلت هذا وقلت أن الحزب الشيوعي الجزائري هو حزب يهودي فقلت له هل تظن ان اربعين مليونا من المسلمين يعيشون في بلد الاشتراكية - الاتحاد السوفياتي - كلهم يهود اذا كان هناك يهود صهيون على وجه الارض فانتم هم هؤلاء الصهاينة ، والا اي شريعة تأمرك باغتصاب مواشي الفلاحين لتقدمها هدايا للحكام والقياد ؟ وسيقطع الشيوعيون عنكم هذه العادة ، فنهض لتوه غاضبا ولم يتلفظ بكلمة .

شرعنا على الاثر بعقد اجتماعنا ، وتم في الحال تأليف لجنة نقابية وخلية للحزب الشيوعي الجزائري واقيمت روابط وثيقة بينهم وبين دوار تاجموت. ومما جاء في كلمتي الختامية لهم هو : ان طريق النضال التي يدعوكم حزبنا الى اتباعهـــا ستكون في البداية صعبة عليكم ، غير انها تتطلب منكـــم الثبات والمثابرة ، لانكم لن تكونوا وحدكم في هذا النضال العادل ، بل ستجدون حزبنا دوما بجانبكم ، وكل قوى الحريـة والسلم ، لهذا فلا تخشوا جانب حاكم مستبيد أو قائد فـــى الدفاع عن حقوقكم ، واذا سألكم الحاكم عن سبب انخراطكـم في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري قولوا له انه حزب علني يدافع عن حقوقنا وسأذهب لمقابلته لاقدم له القانون الاساسي لنقابة صغار الفلاحين, لا يجب منذ اليوم ان تقوموا بأي خدمة للقياد مجانا ، وان لا تقدموا الدجاج والبيض للدرك واياكـم مخافتهم ، فانهم هم الذين يخافونكم اذا وجدوكم رجالا ثابتين على عقيدتكم ، واذا تشابكت لديكم المشاكل فارسلوا لنـــا ببرقية ونحن نأتيكم على جناح السرعة .

توجهنا الى دوار غسيرة وهناك وجدنا في انتظارنا رفيقنا

صادقي محمد امزيان ، فقمنا بنفس العمل ، اي تم تنظيم فرع لنقابة صغار الفلاحين وخلية الحزب في قرية تافلفلت ،ولما شرعنا في عقد الاجتماع العام اتانا القائد علاوة ، وقال لـــي ماذا تفعل هنا ؟ فأجبته جئت لتنظيم نقابة صغار الفلاحين والحزب الشيوعي الجزائري ، فقال هل لديك رخصة بالمجيء الى هنا؟ نعم اجبته وقدمتها له ، وبعد قراءتها قال لـــي اسمح لي بأخذها لاريها للحاكم ،قلت له كلا واضفت هـــل يستطيع المرء تقديم سلاحه للعدو ؟ اذهب الى حاكمـــك واعلمه بوجودي في دوارك،فذهب .

ومن ثم ذهبنا لتتميم اعمالنا ، الى دشرة بني منصور حيث يقيم عمي يفري وهناك تناولنا طعام العشاء ، واذا بأخويــن من الفلاحين جاء من الدوار على عجل لينذرانا بوجود قـــوة عسكرية تحاصر الدوار ، وبأن الفلاحين يطلبون قدومنا ، ودعنـا عمي علي عجل وسرنا للدوار وكان الليل حالك السواد ، والثلوج تتهاطل بشدة ، وريح صرصار تلفح وجهنا واجسامنا، وجه الجماعة انظارهم الي قائلين : هل بامكانك السير في هذا الليل الدامس وهذا البرد القارس وتهاطل الثلوج المتتابع ؟ اذا أرغـــم الجندي أجبتهم على خوض المعركة فلن ترده ولا تشده العراقيل عن القيام بواجبه لا الثلوج ولا المياه ولا البرد.

التقيت بعد قليل وجها لوجه بالقائد علاوة صحبة ستـــة دواير ، وبسرعة قدم لي استدعاء موقعا من طرف الحاكم "قابي" وفيه يطلب مني واصحابى الامتثال بين يديه ، قلت له : حسنـا ولكن ماذا تفعل القوة العسكرية التي تحاصر دوار تاجمـــوت؟ فأجاب ، لا ادري، تابعنا السير على الاقدام الى ان وصلنـــا

الطريق العام ، وهناك وجدت سيارة الحاكم العام في انتظاري مع سائقها البشير بن مدراسي ، وقد بادرنـــي بقوله : امرني الحاكم باصطحابكفي السيارة .اما رفاقك فسيلحقون غدا بنا في الحافلة القادمة من بسكرة لاريس، وصلنا على الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وقضيت باقي تلك الليلة في منزل السائق ، وعند الصباح قابلني بالحاكم وقال : تسمح لي يا سيدي الحاكم ان اعلمـــك، وصلت ليلة البارحة متأخرا وقضى سي الشباح مكي باقي الليلة في منزلي ـ فأجابه : حسنا صنعت.

دعاني الحاكم فيما بعد للبحث في مكتبه ، وأول سؤال القاه علي هو : لماذا ذهبت الى دوار تاجموت ؟ ذهبت لتنظيم فرع لنقابة صغار الفلاحين وها هو قانونها! الاساسي ثم اضاف :لماذا تذهب بقوة مسلحة للقائد محمد مهدى تقول له : ان فرنسا قد هزمت وقد جئت هنا لاحكم في الاوراس،اجبته : هذا هو عين الكذب ، لقد وجدني قائدك في دوار عسيرة وليس في تاجموت كما يدعى ، ثانيا كيف اقول هذا وفرنسا لا تزال تحارب بجانب حلفائها ضـــد الهتلرية ، فقال لي : انتظر حتى يعود الخليفة من الدوار لننظر ما سيقول لنا ، ثم اضاف : لو عملت برأيي فـــي الامس ما وقعت اليوم . فاجبته : انني اراهنك هنا فـــي مكتبك بأنني سأخرج من السجن سأقاومك حتى ابعادك مـــن الدوار والا لا تسميني الشباح مكي ، فاستشاط غضبا ونادى في جنده أخرجوه عني من هنا وضعوه في اقرب مكتب لـــي واغلقوا عليه حتى لا يدخل اليه احد.

واتاني في المساء بطعام العشاء فرفضت قبوله وقلت

لهم : لقد قررت الاضراب عن الطعام ، احتجاجا على وجودي وجماعتي في حالة سجن بدون اي تهمة وفي الغد قدموا لي طعام الغذاء فرفضت قبوله ايضا ، فاعلموا الحاكم بأمري دعاني الحاكم الى مكتبه وسألني عن سبب اضرابي ، فأجبته احتجاجا على توقيفي وجماعتي دون تهمة تذكر ، فأجاب لست انت ولا جماعتك في حالة توقيف ، وانما نحن في انتظار عودة الخليفة من الدوار : ثم قال للدايرة آتيه برفاقه بشرط ان لا يخاطبهم ولا يجالسهم احد . اخرجني الجندي الى حصن الدار فوجدت الرفاق هناك وقد استبشروا بقدومي ، وارسلوا مع الدايرة قليلا من التمر وبينه ورقة ملفوفة بعناية ، يطلبون فيها اعلامهم بالموقف الذي ينبغي اتخاذه فأجبتهم كتابيا ايضا على كافة اسئلتهم .

دعاني خليفة الحاكم بعد عودته من دوار تاجموت للبحث وكان اول سؤال القاه علي هو :"لماذا ذهبت الى دوار تاجموت فقلت له "لن اجيبك عن هذا السؤال الا بحضور ترجمان" ، انني احسن اللغة العربية"، "حتى ولو كنت تحسنها - اجبته - اتدري انه لا يسوغ لك التحقيق معي دون الترجمان" ، حسنا - أجاب - ونادى الترجمان ، ثم اعاد علي نفس السؤال ، فقلت له : ذهبت الى دوار تاجموت مشتة اكباش لتنظيم نقابة لصغار الفلاحين هناك. ثم اردف بسؤال آخر : الم تذهب بقوة مسلحة للقائد وقلت له ان فرنسا قد هزمت ، وقد اتيت لاحكم هنا في الاوراس ؟ هذا الكلا م مكذوب -أجبته - والدليل على ذلك هو انكم قد ذهبتم الى هناك ولم تعثروا على اي شيء من ذلك مع انني كنت في نفس الوقت في دوار غسيرة والان اوجه لك وللحاكم "فابي"نفس التهمة لانكم ارسلتم قوة مسلحة

لنفس الدوار للاستفزاز وفجع النساء والاطفال ، لكى تدفعوا الفلاحين للثورة وتنسبون ذلك لي ولحزبي ، كما ادعيت وتدعي في اقوالك وذلك التبرير اعمال القمع والارهاب اللاشرعية التي تمارسونها يوميا .

ثم أضاف سؤالا آخر بقوله : ما بال هؤلاء الفلاحين الذين اتوا معك ؟ انهم اعضاء النقابة الجديدة : اجبته وقد اتوا لتقديمهم امام الحاكم كمسؤولين عن النقابة وللتعارف ، بهدف تسهيل القيام بواجباتهم تجاه اخوانهم صغار الفلاحين، وفي الختام قدم لي محضر التحقيق لتوقيعه فرفضت حتي يتلوه على الترجمان ، فما قرأه ورأيته مطابقا للواقع ، وبعد بحث الرفاق الاخرين حولنا للمحكمة العسكرية في قسنطينة .

وجدت لدى دخولي مكتب قاضي التحقيق العسكري في قسنطينة وكان برتبة قبطان ، كومندان يقوم بمهمة الترجمان وقد وقف لدى دخولي وحياني بالتحية العسكرية قائلا : سيدي المرشال الشباح مكي ، فابتسمت لتلك المسرحية وقلت له : انني اتشرف بهذا اللقب الجديد الذي خلعته علي ، آسف لعدم بلوغي هذه المرتبة ، التي لا يحصل عليها سوى من تخرج من الكلية العسكرية ، وخاض غمار معارك مظفرة عديدة اما العبد الفقير فانه يجهل حتى استعمال البندقية العسكرية، فأجاب : لماذا اذن يقول القايد بأنك تدعي المارشالية ؟ فقلت له : اسمح لي أن أقول لك بأن هذه أول كذبة ابتدعها هذا القايد على لساني ، وقد ابعدت عن الخدمة العسكرية لاسباب لا شك انك تعلمها ، ثم اضاف متسائلا : لماذا اذن ذهبت الى دوار تاجموت وانت من الجزائر ؟ قلت له انني

من دوار تاجموت مشتة اكباش وهؤلاء الذين هم معي كلهم اقاربي ، هذه ايضا كذبة ثالثة ، والدليل على ذلك هو ان فرنسا لا زالت تحارب بجانب حلفائها ، وها انا امامكم وليس في الاوراس ، والحقيقة هي ان القائد المذكور والحاكم "فابي" قد تواطآعلي لتدبير هذه المكيدة ضدي ، وهم الذين ارسلوا قوة مسلحة للاوراس دون مبرر للاستفزاز ولفجع النساء والاطفال ، وخلق التشويس لدى السكان الامنين العزل.

كيف تقول هذا ؟ أجاب القبطان ، والقائد يقول انك اتيته بستين مسلحا ، وفجعت زوجته واولاده ، وقد فروا هائمين على وجوههم في الجبال ، هذه كذبة رابعة اجبته ، حقا انني ذهبت اليه ولكن صحبة ثمانية من الفلاحين الذين لم يتناولوا مؤنهم الشهرية ، وقد دعاني لطعام العشاء فشكرته على كرمه هذا ، وقلت له انني مدعو لطعام العشاء في الدوار ، وبعد ان قدم لنا كؤوس الشاي ، قدم للفلاحين حقهم من المؤونة الشهرية وعدنا ادراجنا ، واجاب الاخرون نفس الشيء فقال لهم القبطان : لقد دربكم الشباح مكي على مثل هذا المقول، اجابوه اننا لم نشاهده منذ اعتقالنا حتى اليوم.

دعا الكومندان القائد وحارس الحقول (الشانبيط) و ابتدأ بسؤال الاخير : كم كان عدد الفلاحين الذين كانوا صحبة الشباح عندما اتاكم للدوار ؟ فأجاب كان عددهم ثمانية ، وقابلني انا والقائد وقد عرفوني هذا الاخير به . وهنا التفت الكومندان للقائد سائلا : ما رأيك في شهادة الحارس ؟ انه يكذب ياسيدي اجاب القائد واضاف ، انه اتانا بستين مسلحا

و قد فرت زوجتي واولادي هائمين على وجههم في البراري والجبال من شدة الهلع عند مشاهدتهم اياهم . ثم اعاد الكومندان السؤال على الحارس : ماذا تقول في شهادة القائد ؟ فأجاب ان الحق ما قاله القايد يا سيدي ، وان الشباح مكي كذاب . ولكن،قال الكمندان، انت قلت في البدء بان الشباح اتى صحبة ثمانية من الفلاحين ، وهنا تدخلت بقولي : اسمح لي يا حضرة الكومندان انه لا يستطيع مخالفة مولاه القائد خوف التضحية بمنصبه .

توجه الكومندان للقائد بسؤاله : لماذا قلت بان الشباح مكي من الجزائر ؟ وهو من دوار تاجموت ، انه من دوار تاجموت غير انه ليس من دافعي الضرائب في الدوار وهنا قدمت للكومندان استشارة بدفع الضريبة باسمي في نفس الدوار ، فالتفت الكومندان للقائد موبخا اياه بقوله : لماذا هذا الكذب ؟ انا لم اسألك اذا دفع الشباح مكي الضريبة اولا انما سألتك اذا كان هو من سكان الدوار ، لقد ظهر لي من اول جولة كذبكم انت والحارس ، واقل لكما باستطاعتكما التغلب عليه لا انتما ولا حاكما . غير انني سأرسل بنتيجة هذا التحقيق الى المحكمة وهي التي ستحاكمهم او تحكم عليكما بالكذب وأمر القائد بالانصراف.

اتونا بشاهد آخر من جملة عشرة شهودا ، فسأله الكومندان اين سمعت خطاب الشباح مكي الذي قال فيه : ان فرنسا قد هزمت اتيت لكي آحكم هنا في الاوراس ؟ سمعته في جنان صادقي محمد امزيان ، وهنا تدخلت وطلبت من الكومندان ان يسأله اين كان عند القائي الخطاب ؟ فاجاب : كنت اسرح

بالمعزات فقلت له - ان الجنان محاط بسور ، وليس له سوى مدخل واحد ، ولا يمكن دخوله الا بالاذن من مولاه ، فهل ترك معزاته لترعاها الذئاب ، واتى لسماع الخطاب المذكور ام ماذا ؟ فبهت الفلاح وتلعثم في الرد ، فغضب الكومندان وامره بالخروج وارنف قائلا :كلكم اغبياء ورفض الاستماع الى شهادة الاخرين ، وارسلونا لسجن الكدية هنا للمحكمة .

كان اول من اصطدمنا به في سجن"الكدية" هو عريف الصالة (بريفو) ، الذي حاول تشغيلنا عنوة فأجبته اننا لن نخدم لاننا لسنا مجرمين امثالكم ، فنهض من مكانه قاصدا نحوي فقلت له : قف مكانك ولا تقترب مني ، وما عليك الا ان تذهب الى مديرك وان تقل له اننا نرفض الشغل ، فطلب مني مصاحبته لمقابلة المدير . لاي سبب ترفضون الشغل؟ سألني المدير ، فأجبته اننا اناس سياسيون والقانون يمنعكم من تشغيلنا ، لاي حزب تنتمون اضاف المدير ؟ اننا ننتسب للحزب الشيوعي الجزائري ، وانا ايضا انتسب لنفس الحزب ، ثم اضاف : اين هي بطاقة انتسابكم له ؟ انها ضمن الحوائج التي جردونا منها عند دخولنا السجن ، ثم اردفت قائلا :ارني انت بطاقتك الحزبية فتظاهر بالبحث في جيوبه عنها وقال : يبدو انني تركتها في المنزل.

امرني مدير السجن بالعودة للصالة وقال : حسنا لا تشتغل ولكن حذار من تحريض الاخرين على الاضراب عن الشغل، انني لست مسؤولا عن الاخرين بل على جماعتي لا غير . عندها ، دعا العريف وقال له : لا تشغلهم وافرد لهم مكانا وحدهم بعد شهر من السجن اطلق سراحنا ، وذلك بمناسبة دخول

الجيوش السوفياتية المظفرة مدينة برلين حيث غرست علم النصر والحرية الاحمر فوق قمة الرايشتاغ معلنة للعالم اجمع نهاية النظام العنصري واستعباد الشعوب ... نهاية الهتلرية .

لقد عم البشر والسرور العالم بهذه المناسبة واقيمت في مدينة قسنطينة مظاهرة عظمى كباقي المدن الجزائرية والعالم اجمع شاركت فيها كافة الاحزاب السياسية والنقابات ومختلف الشخصيات التقدمية ، جندت عشرات الالاف من الجماهير الشعبية ، وسارت حتى سجن الكدية ، وطالب المتظاهرون باطلاق سراحنا ، وهددها بعدم مبارحة المكان حتى اطلاق سراحنا وقد وعدتهم ادارة السجن باطلاق سراحنا على الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم وهكذا كان.

خرجنا وجماعتي من السجن في الوقت الموعود ، وكان الحزب قد عين لنا اثنين من المحامين للدفاع ، وقد اشرت على اصحابي بالسفر الى باريس والذهاب الى مقر الحاكم لتكذيب ما نشره واعوانه من الاشاعات المغرضة حول مصيرنا وقولهم بحكم محكمة وهران العسكرية بالاعدام رميا بالرصاص يوم السابع من ماي الحالي 1945وبقيت في قسنطينة بأمر من الحزب لحضور اجتماع هام ، لشرح قضيتنا امام العمال والفلاحين وباقي الجماهير الشعبية في السادس من شهر ماي 1945 وبعدما تناوب الخطباء على المنصة ذاكرين ما حققته الجيوش السوفياتية والحلفاء من ابهر الانتصارات على اضخم آلة حربية جهنمية عرفها التاريخ البشري وتحطيم الجيوش الهتلرية وانقاذ البلدان الاوربية والبشرية جمعاء من ويلات

النازية من شرور استعباد العنصرية ، احالوا لي الكلمة ، حييت في بدايتها جماهير العمال والفلاحين وسائر الاحزاب الوطنية والتقدمية وكافة افراد الشعب القسنطيني الذين تظاهروا بالامس طالبين باطلاق سراحنا وتبرئتنا من التهمة التي طبخها لنا الحاكم فابي واعوانه ووجهها الينا ولي شخصيا كشيوعي الا وهي تهمة الاخلال بالامن والتشويش ولاثبات تهمته هذه ارسل ثلة من جيشه الى الاوراس لارتكاب الموبقات و لاستفزاز الفلاحين الامنين.

عندما اتى الكمندان لاطلاق سراحنا بالامس قال لي يجب ان تترك السياسة منذ اليوم، امامكم اقول لهذاالكمندان ولا مثاله باننا نحن الشيوعيين لا ترهبنا السجون ولا التعذيب ولا حتى الاعدام في سبيل حرية شعبنا وبلادنا ، وان هذا الانتصار العظيم على الفاشية الهتلرية ، الذي تم أولا وقبل كل شيىء على ايدي الجيش الاحمر البطل ، كان انتصارا للحرية والديمقراطية في العالم اجمع ، ومن الادلة على شمولية هذا الانتصار هو اطلاق سراحنا اليوم وبهذه المناسبة السعيدة وتبرئتنا من هذه التهمة البشعة ، التى الصقت بنا والغرض من ذلك هو توطيد ما يلاقيه الفلاحون في الاوراس من ظلم واستغلال لا يرحم، واخيرا قلت لهم اسمحولى اذا عجزت عن الافصاح عما يعانيه شعب الاوراس من الاضطهاد ، لانني لست من رجال مثل هذه المواقف انما جل ما اريده هو الكشف امامكم عما يحاك في طي الخفاء ، من المكائد ضد الشيوعيين الجزائريين ، ومن خلالهم ضد شعبنا العامل والفلاح ،سوف لن تسمح لاحد القيام بمثل هذه المكائد ، وعليه التمس من الحاضرين جميعهم المطالبة بمعاقبة الحاكم "فابي" وقائده عابدي الصغير

او بتحويلهم عن الاوراس ،وختاما اشكركم جميعا على اصغائكم والسلام عليكم ,

الفنا اثر هذا الاجتماع لجنة كنت احد اعضائها لمقابلة والي قسنطينة ، شرحت امامه ما يقوم به الحاكم "فابي" وقائده عابدي الصغير من اعمال غير شرعية ومنها : فرض الضرائب الباهضة على الفلاحين الذين انخرطوا في النقابة ، وعليه فالمطلوب هو تكليف السيد غديرة امين المال (خزنجي) في باتنة بتأليف لجنة تحقيق يشترك فيها ممثلون عنكم والذهاب صحبة الحاكم "فابي" للدوار المذكور للتحقيق في تلك الضرائب المفروضة ، فان وجدوها مزورة وجب ادانة المزورين وابعادهم عن الاوراس ،وان وجدوا الفلاحين يكذبون فاننا سوف نتحمل نحن كافة مصاريف هاته اللجنة .

لبى الوالي في الحال طلبنا والتقينا في الدوار مع اعضاء اللجنة المذكورة ، طرحت منذ اللحظة الاولى على القائد السؤال التالي : كم يملك طهراوي حاج مصطفى من المواشي ؟ فأجاب انه يملك عشرة بغال و500 رأس من المعز و550 نعجة : فأجبته انه لا يملك سوى 3 بغال و250 رأس من المعز و50 نعجة ، وعليه اطلب من القائد وجماعته ان يعيدوا حساب الماشية ، فان وجدوا اكثر من هذا العدد ، وجبت مصادرته لحساب الحكومة ، فلما عاد القائد سأله رئيس اللجنة عن العدد الصحيح فاجاب : ان ما قدمه الشباح من العدد هو صحيح فقال الحاكم "فابي" لماذا تكذب علي وعلى مدير الضرائب السيد غديرة ، كم يدفع مشتة اكباش عادة من الضرائب في العام فأجاب انه يدفع 35 الف ثم اضفت :وكم

ارسل لك القائد هذا العـام من الضرائب؟ اجاب 70 الف وانت ماذا تقول اجبته هل يقدر هذا المشتة الذي يعـد افقر مشتة في الاوراس على دفع مثل هذا المبلـغ مـن الضرائب ؟ مع العلم بان لك ثلاثون سنة في منصبك هـذا، فاجاب اجل انه مبلغ غير معقول ومبالغ فيه ،ثم اردفـت بقولي :الرجاء رفع هذا التقرير للوالي حسب الاتفاق الذي ثم بينه وبين وفد قسنطينة حول مصاريف هـاته اللجنـة والتي يجب ان يقوم المزورون بدفعها ، وعليه فان الحاكم والقائد هم الذين حسب الاتفاق يقومون بدفع هذه المصاريف

التفت الحاكم "قابي" للقائد وقال له :أنت الذي ستتحمل مصاريف هاته اللجنة واضاف سائلا هل اعددت طعام الغذاء للجنة ؟ فأجبته انكم ضيوفنا اليوم والغذاء قد اعددناه لكم جميعا ما عدا القائد ، لان طعامنا محرم عليه ، فأجـاب القائد كيف يكون هذا الاستثناء وانتم اناس مشهورون فـي الاوراس بكرمكم،واضاف لماذا تحرمون القائد من هذا الكرم ؟ عندها ، توجهت للجماعة وقلت "اسمحولي ان اتلو عليكم ما قاله الشاعر العربي :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته   وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ان هذا القائد يا حضرات الافاضل من المفترين ، ومـن افترى علينا كما تعلمون ناسبا الينا اقوال وتهم ما انزل الله بها من سلطان ،وقد شاهدتم اليوم ما فعل بهؤلاء الفلاحين الذين سلط عليهم اشد الضرائب اجحافا ، وعليه ليست لنـا به بعد اليوم اي ثقة ، ولن نعامله كقائد عندنـا الا اذا احترمنا واحترم القانون ، وسنحترمه اذا كما قلت احترمنا.

هيا بنا لنتناول طعام الغذاء ، فقاموا وبقى القائـد وجماعته في امكنتهم منبوذين مهانين واخيرا تناولو طعـام الغذاء عندما التفت الى القائد وقال :انني سوف لن اتكلف بتعداد الضرائب في مشتة اكباش ، وعلى ممثلي النقابـة القيام بهذه المهمة ،بالاتفاق مباشرة مع دايرة الضرائب في باتنة وعاد اعضاء اللجنة ادراجهم .

عقاب بن قانة

كان المدعو شيخ العرب بن قانة وكنت ادعوه" فرعـون العرب" يحتكر الحبوب خلال الحرب العالمية الثانيـة ، ويبيعها في السوق السوداء ، وزيادة على ذلك كان يشتري القمح من كبار المعمرين بسعر أربعة آلاف للقنطار ، ويبيعها للشعب الجائع آنذاك بسعر ستة عشر آلاف فرنك للقنطار ، وكان الحاكم والقياد يقلدونه ببيعهم اقساط التموين المخصصة للشعب الذي لا يصله منها سوى القليل وما بقي منها يباع في السوق السوداء على ايدي السماسرة والعملاء.

وكان بن قانة يأمر بكتابة اسمه على عربات السكة الحديدية المشحونة بالحبوب لحسابه لكى يتجرأ احد على التعرض لها أو مراقبتها وكنا نحن الشيوعيين نكافح خلال تلك المرحلة من اجل تلبية حاجة الجماهير من التموين ، ونترصد المحتكرين لقوت الشعب ،ومنهم بن قانة ، كنا نخبر بعضنا بعضا بأمر تلك العربات المشحونة بالحبوب لمراقبتها في كل محطة ، وذات يوم وصلت سيارتان مشحونتان بالفول

والحمص باسم بن قانة فتلقاهما رفيقنا موريس لابان(4) وكان عضوا في مجلس بلدية بسكرة واستفاقهما الى مقر جمعية الفلاحة - لاسباب - حيث افرغ حمولتها ، وكان عمله هذا آنذاك مجازفة كبرى.

ذهب رفيقنا بعد هذا الحادث الى مركز الشرطة وطلب من الكوميسار مصاحبته لتفتيش مخازن بن قانة، التى تباع فيها الحبوب باسعار السوق السوداء ، فرفض الكوميسار السير معه خوفا على منصبه ، فتركه الرفيق موريس لابان وذهب في الحال للثكنة العسكرية ،وطلب من الكومندان مصاحبته للكشف على اضخم مركز للسوق السوداء في مدينة بسكرة ، وكان بين الكومندان وبين بن قانة عداوة شخصية قديمة ، فأمر الكومندان في الحين يدق ناقوس النفير، وها هى الا بضع دقائق حتى اصطفى مائة جندي من السنيغاليين بأسلحتهم ، ثم ذهبوا فى البدء الى مركز الشرطة وأمر الكوميسار بالسير صحبته الى منزل بن قانة.

دخل في البدء الكوميسار بعد الاستئذان واعلم بن قانا بانه مامور بتفتيش المنزل لوجود حبوب فيه• تباع بأسعار السوق السوداء ، ذهل بن قانة لهول الخبر ، نظر بعنف للكوميسار قائلا : اتجرؤ على تفتيش منزلي واتهامي ببيع الحبوب بأسعار السوق السوداء ،فأجابه الكوميسار :عفوا يا سيد ي انني لست وحدي وطلب منه الخروج معه لرؤية الجماهير المحتشدة والقوى العسكرية المحاصرة للمنزل، فلما شاهد ذلك آمر نساءه، واولاده باخلاء المنزل ودخل الجند

فأخرجوا من مخازنه خمسمائة قنطار من القمح فضلا عن الحبوب الاخرى والاقمشة وغيرها ، شحنت كلها في سيارات عسكرية كبيرة الى مركز -لاسباب - وما بقي للثكنة ،.ومن ثم ذهب الجميع صحبة الجنود الى محطة السكة الحديدية حيث وجدوا اربع عربات باسم بن قانة مشحونة بمختلف الحبوب فأمر الكومندان مدير المحطة بالاحتفاظ بها ، وان لا يترك احدا يقترب منها.

رسمنا في اليوم التالي على قطعة كبيرة من القماش صورة بن قانة بقنورة ، ويده في احد اكياس الحبوب و احدهم يقبض عليه متلبسا بجريمة السرقة لقوت الشعب ، طفنا بتلك الصورة مدينة بسكرة في مظاهرة كبرى ، تتقدمها الطبول والزرناجية والجماهير ولا سيما الاولاد يرددون على وقع الطبول الجمل التالية : بن قانة شيخ العرب ، سارق المونة متاع الشعب ، ويبيعها في السوق الاسود.

وبعد ما طفنا مدينة بسكرة اقمنا اجتماعا عاما خطب فيه الامين الاول للحزب آنذاك ، وقبل هذا الحادث تراهن الرفيق موريس لابان (4) مع جماعة الدكتور سعدان على اقامة اجتماع عام في بسكرة ضد بن قانة ، وكانت هذه الجماعة تقول باستحالة القيام بمثل هذا الاجتماع ، وبالاخص ضد بن قانة ، وبقيام الشيوعيين الجزائريين بهذا الاجتماع الهائل في قلب مدينة بسكرة فاز رفيقنا بالرهان .

(4) موريس لابان استشهد عام 1956
في معركة الاصنام قرب الاصنام.

ومما جاء في خطاب الرفيق المسؤول انذاك قوله ، اننا نرد على اعداء الشعب "دقة ، بدقة" تعلمون ايها الاخوان ان بن قانة اقتاد رفيقنا الشباح مكي موثوق اليدين في ذيل حصان وارغمه على السير من بسكرة الى اولا د جلال حيث سجنه هناك ، وكلما مر بقرية يقول الدايرة للفلاحين : هكذا نفعل بالشيوعيين الذين يخرجون عن طاعة الدولة وبن قانة". وكان وعدنا الرفيق الشباح بمعاقبة هذا الطاغية وغيره من الظلام على ما تقترفه ايديهم من جرائم بحق المناضلين وبحق شعبنا ، والله كما ترون لم يخيب آمالنا ، ففي هذا اليوم يعاقب شيخ العرب بن قانة الذي كنتم بالامس تخافونه بشدة وتتقون شره ، ومنكم مع الاسف من يفتخر به ، وسينال من الجزاء اكثر مما نال رفيقنا على يديه " ثم قال :" انه حكم على رفيقنا بالسجن لمجرد دفاعه عن وطنه المغتصب ومطالبته بحقوق اخوانه من الفلاحين غير ان هذا السجن لم يحط من قدر وشرف رفيقنا بين اخوانه العمال والفلاحين بل زاده ذلك قدرا وشرفا ، اما شيخكم فانه سيحاكم اليوم امامكم وامام العالم اجمع لارتكابه اشنع جرائم السرقات الا وهي سرقة قوت الشعب الجائع ، الذي يسير احيانا شبه عاريا وان الكثير من الناس يقبعون في منازلهم لعدم وجود اللباس الضروري لستر عوراتهم".

"ان سرقة من هذا النوع ستحط من سمعته لا لدى جماهير شعبنا وحسب ، بل ولدى اصدقائه واقربائه ولدى حكومته ، وتزيد في نفس الوقت في قيمة رفيقنا الشباح مكي في بسكرة ، وفي بلدته سيدي عقبة التي خرج منها مرغما من ظلم هذا الطاغية الجبار وحكومته الفرنسية ، وعليه فسيفتح هذا اليوم

صفحة جديدة في تاريخ النضال ضد الظلم والطغيان الاستعماري الاقطاعي الرجعي في بلادنا ، وسيزيد في سمعة الشباح مكي ورفاقه الابرار من المناضلين الشيوعيين امثال موريس لابان الذي استطاع بجرأته واقدامه الذي وصل الى حد المغامرة بمهاجمة هذا الطاغية بن قانة في عقر داره وتغلب عليه مع رفاقه المناضلين.

ان هذا اليوم الذي نحتفل فيه بهذه المناسبة يكتشف حقيقة اعمال الطغاة الرجعيين امثال بن قانة ، الذين انحطوا الى درجة اللصوص السفلة ورغم تسترهم خلف مختلف الاقنعة : وستنشر الجرائد كلها في قطرنا الجزائري ،وكذلك وكالات الانباء العالمية هذه الحادثة المشينة كوصمة عار جديدة في جبين الاستعماريين واتباعهم الاقطاعيين الخونة ،ويرى شعبنا من ناحية اخرى ان النضال الثوري الدائب والجسور ، يمكن وضع حد للظلم والاستعباد الاستعماري والرجعي طال الزمان ام قصر".

واخيرا أثني الخطيب على الرفاق الذين قاموا بهذه العملية الجريئة بالشكر ومنهم العمراني العيد نقيب المحامين في باتنة وموريس لابان ، ودبابش ومكي وبن الاغاء ، وباقي الرفاق الذين شاركوا فيالقيام بهذا الواجب المقدس.

وبعد ذلك، احيلت لي الكلمة ومما قلته بعد الترحيب بالحاضرين والسلام :"انني لاأريد اطالة الحديث عليكم ، وانما اريد التذكير ببعض الجمل التى رددها على مسامعي اعوان فرعون العرب عام 1937، عندما شارعته ومنها : واش غادي

اتدير ايها الفلاح الفقير امام سيدنا وقوته الساحقة ـ انهم بالحقيقة اغبياء رغم شخصياتهم المعتبر لدى البعض من الناس، فأجبتهم اجل انني فلاح فقير غير انني اتمتع بقوة حزبي الشيوعي ، الذي هو اقوى من سيدكم بن قانة ، فهو الذي سيقضي عليه ، انما اريد ان اذكركم بحكاية فاحفظوها الا وهي حكاية الناموسة الضعيفة التي قتلت النمرود ، وليس فرعون العرب بن قانة الا النمرود ، اما قد حقق الله اليوم هذا المثال الذي ضربته لهم منذ 8 سنين ، وهذه هي موتة الاولى وهي اشد وطأة من موته الاخيرة . لقد قضى اليوم على سيدكم ، ولكن انقذت في نفس الوقت حياة الالاف من الجماهير والمناضلين ، وستزيد الايام القادمة في كشف عوراته وهي كثيرة ومعروفة لدى الخاص والعام"، وهكذا تم الاجتماع وتفرق المتظاهرون فرحين مستبشرين بهذا النصر الذي يعد نصرا لهم ايضا .

وفي اليوم التالي من هذه المظاهرة الشعبية العارمة اجتمع القياد من كل مكان وارسلوا برقيات الاحتجاج للولاية الفرنسية العامة على ما حل بسيدهم بن قانة ، مطالبين بمعاقبة الشيوعيين الجزائريين علي اعمالهم العدائية بتجاه بن قانة ومن خلفه السلطات الفرنسية وعلى الاثر تألف وفد برئاسة بن قانة ، قاصدا الولي العام ،واحتج بن قانة لديه باسم الوفد المرافق له ، وطالب معاقبة الشيوعيين الذين تطاولوا عليه وانتهكوا حرمة منزله ، واهانوه اهانة لم ير لها في حياته مثيلا ، ثم اضاف قائلا : اذا لم تنتقم الحكومة منهم فانني سأقدم استقالتي ومن معي من القياد من مناصبنا وعلى الحكومة ان تتدبر امرها .

عندها قدم له الوالي العام جريدة الحرية وعليها صورة بن قانة وقال له : لقد طلب مني الشيوعيون عزلك ومعاقبتك على ما ارتكبته من جرائم ، وتريدمني ان اعاقبهم على جرائم ارتكبتها انت ؟ الا يوبخك ضميرك على احتكارك قوت الشعب وبيعه بالسوق السوداء ، والا تستحي من تهديدي باستقالتك واتباعك من القياد ، ان فرنسا وضعت ثقتها بك وقلدتك لقب الشيخ العرب ، غير انك خيبت بأعمالك هذه تلك الثقة بتعديتك على القوانين وعلى شعبك الذي كاد يهلك جوعا وانت تبيعه حبوبا بالسوق السوداء بأسعار لا مثيل لها ، ولا عهد له بها من قبل . لاشك انك لست بعربي ولا مسلم ، لان هذه الطريقة التي اخترتها لنفسك قد حشرتك في زمرة المختلسين ، مع انك من اكبر الاغنياء في المنطقة وتريد مني مساندتك لاصبح من زمرتك ، انني فرنسي حر احافظ على شرفي وشرف حكومتي. (2)

انني لا اريد منذ اليوم مشاهدتك في مكتبي هذا ، وما عليك الا ان تعود من حيث اتيت انت واصدقاؤك الذين اتيت بهم لتهديدي باستقالتكم . فخرج وأصدقاؤه مذمومين مخذولين دون ان ينبت ببنت شفة ودخل منزله في بسكرة ، ولم يخرج منها الا بعد اسبوع ، محمولا الى مثواه الاخير. وهكذا قضى بطغيانه واطماعه على نفسه ، اما انا الفلاح الفقير فقد ابقاني الله حيا طاهر السريرة نقي الضمير حتى استقلت الجزائر ، وقد شاهدت بفضل الثورة الزراعية املاك بن قانة توزع على الفلاحين وهذه هي نهاية الظلم والظالمين ، كما جاء في الاية الكريمة "وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون"

(2) تحليل موقف الوالي العام .

مع صغـار الفلاحيـن ثانيـة

بعد وفاة فرعون العرب ، بن قانة ، كلفني الحزب بالتوجه الى التراب العسكري لتنظيم نقابات صغـــار الفلاحين هناك ، وكان عملي هذا يعتبر آنذاك مغامـــرة لكن حزبنا عودنا على القيام بمثل هذه المغامرات وقبل سفري وجهت رسالة الى الكمندان العسكري بتوقرت ، اعلمه فيها الغرض من مجيىء ، وعددت له الاماكن التي سأزورها في واد ريغ.

سافرت في البدء الى بلدة المهدية وهناك وجـدت الفلاحين فى انتظاري ، كما وجدت القبطان العسكـري صحبة ترجمان. عندها، توجهت نحو الرفاق متسائـلا : هل هذا الاجتماع اعد لي ام للقبطان ؟ فأجابوا اننـا اعددنا ه لك وليس للقبطان ، مع انني ادركت لاول وهلة الهدف من مجيىء القبطان و ترجمانه ، و هو تبليـغ الكمندان العسكري بتوقرت بفحوى خطابي ، ثم تقدمـت نحوهما وطلبت منهما الجلوس ، فجلسا بعدما صافحنـي ثم توجهت نحو رئاسة الاجتماع حيث قدمني رئيس الاجتماع للحاضرين واعطيت لي الكلمة .

بدأت كلمتي بتحية الحاضرين وبشكرهم على مــا ابدوه من جرأة وايمان بعدالة قضيتهم امام حاكمهم ثم اردفت قائلا : واشكركم ايضا على ما ابديتموه من حفاوة في مقابلتيواعتبرها حفاوة بحزبي الشيوعي الجزائري ، و انني مسرور جدا بوجود السيد القبطان وترجمانه اللذان

اتيا للاستماع الى كلمتي هذه ، واعتبر وجودهما تجنبا لأقوال الوشاة الذين يقلبون الحقائق طمعا في المناصب ولاستدرار الاموال فيزعمون ان تنظيم الشيوعيين للفلاحين لا من اجل الدفاع عن حقوقهم ومقاومة الاستغلال والنهـب الاستعماري والاقطاعي الرجعي ، بل لتسليحهم للقيـــام بالثورة فورا ضد السلطات الفرنسية .

حقا اننا نريد تنظيم الفلاحين الصغار للدفاع فـي هذه المرحلة الحاضرة عن ابسط حقوقهم وانتزاع مطالبهم العادلة ، وها انا اخاطبكم اليوم امام السيد القبطان ، لأشرح لكم المهمة التي كلفني حزبي للقيام بها لمساعدتكم ألا وهي تنظيم صفوفكم أولا وقبل كل شيىء لان بدونه لـن تنالوا شيئا من مطالبكم العادلة ، ولن تستطيعوا مقاومة الاستغلال والاضطهاد النازل بكم .

لقد بلغنا ان قائد هذه الناحية لم يوزع عليكم حقكم في التموين حسب القانون ، وعليه فقد كلفت باعلامكم امام القبطان وباستطاعته الاجابة على اقوالي بعد انتهاء كلمتي ان لكل واحد منكم الحق في 7 كلغ في الشهر من القمـــح او الدقيق ، وكلغ واحد من السكر ونصف رطل من القهـــوة ونصف لتر من الزيت واربعة امتار من القماش لكل ستة اشهر هذا ما عدا الصابون .

وقد بلغنا ايضا انهم يسخرونكم ودوابكم لخدمتهـــم لتعبيد الطرقات دون اجر ، كما يسخركم القياد واعوانهـــم في خدمة بساتينهم دون اي اجر ايضا ، اعلموا ان القانـــون يحرم ويمنع مثل هذه التصرفات الجائرة ، وعليه يجـــب عليكم منذ اليوم ان لا تعملوا دون اجر لا انتم ولا بغالكـــم وجمالكم ، وقوموا كرجـــل واحد في وجه هذه التصرفـــات

الخارجــة عن القــانون والعرف وهــا انــــــا اكلف باســم نقابة صغــا. الفلاحين المسؤول النقابي الذي ستنتخبونه انتم بأنفسكم حسب الطرق الديمقراطية ، بالدفاع عن مصالحكم امام الحاكم والشيوخ و القياد ، فان لم يمتثلوا لحقوقكم وتمردوا على القانون فأخبرونا ونحن نأتيكم على جناح السرعة ونذهب معكم الى كمندان هذه الناحية للدفاع عن حقوقكم المقدسة .

غير اني اوصيكم باجتناب الفوضى والتقيد بنظام النقابة والتآخي فيما بينكم وبين غيركم من الفلاحين وانزعوا الخوف من نفوسكم ، ولا تعتدوا على حق احد ، ولا تدعوا احــدا يعتدي على حقوقكم ، واحترموا من احترم حقكم ، فاذا سلكتم هذه الطريقة فانكم ولا شك ناجحون ، وتتمكنون من رفع هذا الحيف والظلم المسلط على رؤوسكم ولا سيما من جانب بعض الحكام والقياد ، واخيرا اشكركم على حسن اصغائكم .

طلبت من السيد القبطان اذا كانت لديه بعض الأسئلة أو الملاحظات على اقوالي هذه فليتفضل ، عندما وقــف القبطان وقال "لديا سؤال بسيط واحد وهو : اهذا هو نفس الخطاب الذي ستلقيه اينما حللت في واد ريغ ؟ نعــم اجبته - ويسرني لقاؤك في أي مكان أزوره ، أجاب كــلا انني كلفت بالمجيء الى هذا المكان لا غير ثم توجهــت للحاضرين بنفس السؤال فأجاب أحدهم : انهم لا يعطونــا من التموين سوى 4كلغ من القمح أو الشعير في الشهر ، اما السكر ، والقماش ، والزيت ، والقهوة فلم نأخذ منه شيئا .

وقال آخر أن أكثرية أولادنا ونسائنا لا يجدون ما يسترون به ، واذا أراد سيادة القبطان التأكد من صحة أقوالي ، فليذهب معي وليشاهد بعينيه هذه الحقيقة ، عندهــا توجهت نحو القبطان و قلت له : لقد سمعت من أفــواه هؤلاء الفلاحين ما يحل بهم من حرمان وعدوان على حقوقهم ، وان ما شرحته في هذا الموضوع ليس اختلافا ، بل هــو الحقيقة المرة التي يعيشها مع الاسف الشديد - هــؤلاء الفلاحون ، وعليه فالمرجو منك اعلام الكمندان بهذه الحقائق أما من ناحيتي قلت له - فسأشرح أمامه كل ما سمعتــه من أفواه هؤلاء العمال والفلاحين ، ثم رفعت الجلســة وذهب القبطان وترجمانه في سبيلهما .

عاتبني البعض من الفلاحين لعرض الجلوس علــى القبطان وترجمانه وقالوا لماذا لم تتركهما وقوفا ، نعــم قلت لهم ، ان القبطان يمثل الاستعمار الفرنسي فــي بلادنا ، وهو عدو لنا ولشعبنا ، ولكن ليس من اللياقة في مثل هذه الظروف الا أعرض عليهما الجلوس ، ونحن عندما نضطر للذهاب اليهم يعرضون علينا الجلوس في مكاتبهم ، مع انهم يعرفون اننا اعداء لهم ولدولتهم ، ويعترون حقيقة هذا القول عندما نذهب سوية لمقابلة الكومندان في توقورت

توجهت فيما بعد بنفس المهمة الى قرى آنسيغـــة، المغير سيدي خليل ، ام الطيور ، عفيان ، جامعة ، وغلانة الزاوية ، تقديدين ، تماسين وتمرنة ثم توقورت ،وتـــم تأسيس مختلف الفروع النقابية لنقابة صغار الفلاحين في هاته القرى ، ما عدا قرية تمرنة ، اين منعني شيخها مــن

القاء كلمتي ولما طلبت منه اسباب هذا المنع ، اجاب : ان القائد مصرلي بن قانة هو الذي امرني بعدم السماح للشباح مكي بالكلام حذرت الشيخ من سوء موقفه هذا وقلت له بأنني سأذهب الى الكومندان في **توقورت** وسأعلمه بهذا المنع غير الشرعي ، غير ان الرفاق هناك اصروا على القيام بالاجتماع رغم انف الشيخ ، فأجبتهم : يعتبر هذا المنع في نظرنا استفزاز من طرف ولا سيما هؤلاء القياد والشيوخ اليائسين ، وعليه ينبغي الأنحار بهم في اعمالهم الاستفزازية لكي لا نعطيهم سلاحا لضرب منظماتكم الجديدة التي يرون فيها نهاية نهبهم واستغلالهم وطغيانهم وسأعود اليكم في القريب العاجل ان شاء الله للقيام بالاجتماع وبتنظيم نقاباتكم وغاية ما اطلبه منكم هو ان يأتي البعض منكم صحبتي الىتوقرت لاعلام الكمندان بهذا المنع ، وسترون ما سيحل بالقائد امام الكمندان وامامكم .

وصلت صحبة الوفد الى توقورت وطلبت باسمه مقابلة الكمندان ، الذي سمح لنا دون انتظار ، بمقابلته ، وبعد التحية ، طلبنا ما نريده من الخدمات فأجبته : ان شيخ تمرنة ـ قد منعنا بأمر من القائد مصرلي بن قانة من عقد اجتماعنا ومن تأسيس نقابة لصغار الفلاحين والغرض من هذه المقابلة هو معرفة من الذي امر بهذا المنع ، هل هو انتم ام القائد المذكور ؟ فأجابه : ليس من المعقول أن أمنعكم طالما اني سمحت لكم القيام بمهمتكم ، اذن قلت له ـ فالمرجو هو دعوة القائد المذكور للتفاهم معه أمامكم، وما هي الا بضع دقائق حتى كان القائد أمامنا ، وقد بادره الكومندان بسؤاله : انت الذي أمرت شيخ تمرنة بمنع الشباح

مكي من عقد اجتماع عام في بلدته ؟ أجاب نعم ، ومن الذي أمرك بهذا المنع ، اضاف الكومندان ، هل هو انا ؟ كلا ، فسألته بدوري : هل بامكانك ان تقول لنا من الذي يتصرف في هذه الناحية هل هو الكومندان ، أم انت ؟ فأجاب انني تحت تصرف السيد الكومندان وهو الذي يتصرف في هذه الناحية . اتدري قلت له ، ان مجرد اعطاءك الاوامر لشيخ تمرنة بمنعنا من القيام باجتماعنا دون اعلام من يتصرف بك يناقض اقوالك هذه ؟ وعلى الاثر تدخل الكومندان وطلب منا السماح ، ثم توجه للقائد وأمره بطلب السماح منالمسؤول النقابي ،لانك قال له ، افسدت عليه ما بذله من الجهود لتنظيم هذا الاجتماع ، فانتصب القائد امامي وصافحني طالبا مني العفو عما بدر منه فأجبته : نسامحك بشرط ، ان تكلم شيخ تمرنة هاتفيا امامنا ، ان تأمره كي يسمح لنا بعقد اجتماعنا ، ففعل ذلك.

عدنا في التوالي قرية تمرنة ونظمنا اجتماعنا على اكمل وجه ، وقد اقبل عليه الفلاحون من كل حدب وصوب ، وأسسنا أخيرا فرعا لنقابة صغار الفلاحين ، واخيرا قلت للرفاق الشيوعيين هناك اليس من الافضل عقد اجتماع على هذه الصورة التى بعثت الاطمئنان والجرأة في نفوس المترددين واليائسين، ولو عقدناه رغما عن شيخ تمرنة لما حضره مثل هذا العدد ولتزعزعت ثقة الكثير من الفلاحين في قائدة النقابة ،وعدا ذلك فان الكثير منهم ينظر الينا كجماعة مشوشين لاكمنظمين يعتمد عليهم في المهام وقادرين على مساعدتهم في تحقيق مطالبهم العاجلة منها والاجلة ،

هذه هي الطريق المطلوب منكم في مثل هذه الظروف اتباعها لان المستعمرين واعوانهم من القياد والشيوخ ينصبون لكم المكائد ، ليفسدوا عليكم تنظيمكم ،ويسفهون اقوالكم ويرمونكم بالتشويش والفوضى ، فوصيتي لكم هي الانتباه لهذه المكائد والتحذر منها .

توجهت في اليوم التالي الى مدينة ورقلة صحبة الرفيق مارتينز وامبيسة محمد الذي كان في انتظاري لمصاحبته الى واد سوف ، وفي ورقلة وجدنا الرفيق مرابط الساسي في انتظارنا ، ذهبنا سوية للقبطان كي اعلمه بعقد اجتماع عام باسم نقابة صغار الفلاحين في ورقلة ، طلب مني القبطان اذا كانت لدى رخصة للقيام بمثل هذا الاجتماع ؟ ولما قدمتها له سألني : في اي مكان تريد عقد هذا الاجتماع

- في ساحة البلدة أجبته ، كلا اجاب القبطان ، وذلك لكي لا تعرقلو سير الاعمال التجارية ، الافضل ان تعقدوه في سوق الجمعة ، لا بأس أجبته .

ولما خرجنا من عنده ، قال الرفيق مرابط ان المكان الذي عينه لك القبطان بعيد عن المدينة ، ولن يحضره الا القليل من السكان ، لا بأس ، قلت له ، فسنعين اثنين من المنادين يجوبون الاسواق والاحياء لاعلام السكان بموعد ومكان الاجتماع ، وسيحضر السكان جميعهم هذا الاجتماع ، الذي لم يشاهدوا له مثيلا في حياتهم ، وفي الموعد المحدد ، اغلق التجار حوانتهم ، وترك الفلاحون اعمالهم واقبلوا لسماع الخطبة ، وقد زاد عدد الحاضرين عن خمسة آلاف شخص ، وترك حتى الآباء البيض من الارساليات التبشيرية شاركوا في حضور وكذالك القبطان

وحاشيته ، الذي ظن ان السكان لن يكلفوا انفسهم عناء المجيىء لحضور هذا الاجتماع .

افتتح الرفيق امبيسة محمد الاجتماع بكلمة رحب فيها بالحاضرين واطلعهم على موضوع الاجتماع ، وقدمني لهم كمسؤول عن نقابة صغار الفلاحين ، ثم احال لي الكلمة ، وقفت على طاولة اعدت لهذا الغرض ، لكي اشاهد هذا الجمع الغفير واسمع هاته الجماهير كلماتي . وقد عودنا حزبنا على الاطلاع على مطالب الجماهير العاملة والفلاحين عند قدومنا لأي مكان ، وعلى اوضاعهم والبحث عما يتحملونه من ظلم وارهاق.

حمدت الله في بدء كلمتي وثنيت عليه ثم حييت الحاضرين باسم حزبي الشيوعي الجزائري ونقابة صغار الفلاحين ، وشكرتهم على ما بذلوه من تضحيات لحضور هذا الاجتماع الذي لم يشاهدوا له مثيلا منذ زمن طويل وعبرت لهم عن سروري بزيارة بلادهم الجميلة ، وبمساعدة صغار الفلاحين المظلومين على تنظيم نقابة لهم تجمع صفوفهم ، وتمكنهم من انتزاع حقوقهم المشروعة العادلة .

والان قلت لهم سأنتقل الى قضية اخرى ، والقبطان هو المسؤول عنها مع السلطات المحلية ، الا وهي مسألة التموين ، بلغنا انهم لا يقدمون لكم سوى اربع كلغ من القمح او الشعير في كل شهرين ، واما المواد الاخرى مثل السكر والقهوة والزيت والصابون والقماش لم توزع عليكم ومن يحتاجها منكم يتوجب عليه شراؤها في السوق

السوداء وها هو قانون التموين اتيت به كي اتلوه عليكم .

اعلموا ان لكل شخص منكم الصغير والكبير الحق في سبع كلغ من القمح او الدقيق في الشهر وكلغ واحد من السكر ونصف طل من القهوة ونصف لتر من الزيت ، واربعة امتار من القماش لكل ستة اشهر ، وها انا اطرح امامكم السؤال التالي على القبطان ، وهو : هل تستطيع الدجاجة ان تعيش شهرين على اربع كلغ من الشعير او القمح التي يقدمها المسؤولون هنا للسكان ؟

وها انا انتقل ايضا الى مسألة اخرى ، وهي مسألة المسيو برنادي الذي قدمت له السلطات المحلية محركا مع المازوت لضخ مياه الشرب للسكان غير انه لا يستعمله سوى ساعتين لتأمين حاجة السكان من المياه و في باقي النهار يتمتع به وحده لري نخيله مما يرغم الفلاحين والسكان على البحث عن المياه في اماكن بعيدة وهذا امر غريب من طرف مسيو برنادي الذي يفضل ارواء نخيله قبل سد حاجة السكان الذين قدم من اجلهم هذا المحرك، عليه فالمطلوب منكم هو تنظيم انفسكم لانتزاع حقوقكم ، اما القضية الاخرى التي توجه انتباهكم اليها هي قضية السخرة (الكرفي) فقد بلغنا انهم يسخرونكم في تعبيد الطرق بلا اجرة وهذا العمل يحرمه القانون ويمنعه ، فالمطلوب منكم منذ اليوم ان تعملوا دون اجرة ، وان حزبنا ونقابة صغار الفلاحين ، وكل الوطنيين التقدميين يساعدونكم في الدفاع عن حقوقكم وفي الختام اريد الاشارة الى قضية هامة ايضا ، الا وهي الاباء البيض ، الذين اتوا لبلادنا باسم التبشير الديني ، فاذا بهم يصبحون من كبار المعمرين في هذه الناحية بما

اصبحوا يملكونه من محركات (موترات) توفر لهم كثرة المياه لري نخيلهم ، بينما تقل المياه لدى الفلاحين الصغار من اهل البلاد لري نخيلهم الذي يموت الكثير منه عطشا . ان مثل هذه الاعمال لا تستسيغها حتى قوانين التبشير الديني ، فللمبشرين مؤسساتهم الدينية الخاصة ، التي تؤمن لهم حياتهم ، وهم ليسوا بحاجة الى مزاحمة الفلاحين على قوتهم اليومي ، الا يكفيهم ما يمارسونه من اعمال العدوان على الدين الاسلامي ، ورد البعض من ابنائنا عن دينهم ودفعهم للكفر بالشريعة الاسلامية .

انني ادعو هؤلاء المبشرين الموجودين هنا ويسمعون اقوالي ان يكفوا عن نشاطهم هذا ، كما انبه السلطات المحلية الى مقاومة مثل هذا النشاط ، وتلبية مطالب الفلاحين المستعجلة ، واذا لم تستجب السلطات المحلية لمطالبكم المشروعة هذه ، فما عليكم ايها المسؤلون عن نقابات صغار الفلاحين الا ان تجندوا الجماهير حول هذه المطالب من اجل تلبيتها والدفاع عن حقوقكم ، وبامكانكم ارسال وفد منكم لمقابلة منظمتكم في الجزائر ، وهي بدورها تقدمكم للولاية العامة لعرض مطالبكم العادلة وتطالب معكم العمل على تلبيتها ، وما عليكم الا ان تنزعوا الرهبة من نفوسكم وكونوا يدا واحدة ، ليتم لكم القيام بواجبكم المقدس نحو بلادكم وشعبكم ، وفي الختام اشكركم مرة اخرى على صفائكم واوصيكم بالتقيد بنظام النقابة وان لا تجعلوا للفوضى لديكم سبيلا والسلام عليكم ورحمة الله ". واخيرا طلب رئيس الاجتماع الرفيق

امبسية محمد من الحاضرين من يريد الكلمة او سؤال فلم يجب احدا ، عندها أعلن عن اختتام الاجتماع وانفض الحاضرون . مكثت يومين هناك قضيناها في تنظيم نقابات لصغار الفلاحين ...

عدت على توقورت ومن هناك توجهت مع الرفيق امبيسة محمد الى واد سوف حيث قمنا بنفس النشاط ، وتم تأسيس النقابات لصغار الفلاحين في : اقمار، اكوينين ، الواد ، البياضة ، العقلة ، النخلة ، الزقم ثم عدنا ادراجنا للقيام بنفس العمل الى : سيدي خالد، اولاد جلال ، البرج ، طولقة ، العامري ، الصبر ، فرفار، لشانة ، بوشقرون ، ثم بسكرة ، سيديعقبة،الزريبة ، و شتمة ، ثم ذهبت الى اريس ، اين نظم الرفاق هناك اجتماعا يوم السوق وطلبوا مني القاء بعض كلمات على الحاضرين ، فاستجبت لطلبهم .

في البدء ، حييت الحاضرين وقلت لهم : اعلموا ، انني كلما اتيت الى هنا ، الا وأجد -البريغادي - سي محمد بوسعد ، يسير امامي وحارس الحقول (الشيبيط) على بن محرز يسير خلفي للتجسس على حركاتي وسكناتي كما ترونهم اليوم ، انني اقول لكما امام الشعب انني لست سارقا والافضل لكما ان تراقبا قيادكم وحكامكم الذين يسرقون قوت الشعب ، ويتركونه فريسة للجوع ، والامراض ، بينما هم يبيعون حقه من التموين في السوق السوداء ، اما انا فقد جئت الى هنا لكشف الستار عن هؤلاء اللصوص الذين لم يتجرأ أحد منكم الكشف عن اعمالهم الاجرامية هذه ، انكم لا شك تعلمون بوجود

منظماتكم النقابية هنا في الاوراس ، التي تأسست للدفاع عن مصالحكم وتوجيه نضالكم كما تعلمون بان الرفاق ولا سيما الخضير بن اهنين وعكشة بو لخراص هم المسؤولون عن هذه النقابات ، ويدافعون معكم من أجل تلبية مطالبكم العادلة وعليه ينبغي عليكم التوجه اليهم ولا تتركوا اولادكم فريسة للجوع والامراض ، بينما يختلس الحكام والقياد حقوقكم .

لقدبلغنا ، قلت لهم ، ان الحاكم فابي يوزع عليكم التموين بالكيل لا بالميزان ، وعليه ينبغي عليكم ان لا تقبلوا التموين الا بالميزان وها انا اذهب للحاكم واخبره بهذا الامر ، وهنا توجهت لجنود الحاكم بقولي : اما انتما يا سي محمد بن بوسعد ويا علي بن محرز لم يبق لكما شيء للتجسس ، اذهبا الى سيدكما فابي وحدثوه بما سمعتموه واذا كانت لديه الشجاعة الكافية ، فليأتي الى هنا وليدافع عن نفسه وعن قياده امام هذا الجمع الغفير .

بلغنا ايضا ان بعض الناس ذهبوا للحاكم فابي "وتمسكنوا" لديه طالبين منه النصيحة ، واستشاروه في امرانخراطهم في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري ، فنهاهم عن ذلك بقوله : كيف تنخرطون فيه وهو حزب ضد الدين ، وانتم مسلمون ، فقالوا له : لدينا اولاد جياع وعرايا وهو يساعدنا على اخذ التموين لسد غائلة جوعهم والقماش لكسائهم ، فأجابهم : انني اقدم لكم ما يكفيكم من التموين والقماش ، بشرط الا تنخرطوا في صفوفه ،

وبهذه ،الطريقة اخذوا منه حقهم من التموين ولكن هل بمثل هذه الطريقة تؤخذ الحقوق؟ بالطبع كلا.

دخلت عليه ذات يوم لتقديم شكوى بعض الفلاحين فعرض علي ثلاثة ملايين فرنك ، والوظيفة التي اختارها بشرط ان اترك هذا الحزب فأجبته : انا لست من الذين تشتريهم بالمال او بالوظيفة لانني لن اخون ثقة شعبي ، ولن اخون ما عاهدت عليه حزبي الشيوعي الجزائري للدفاع عن حقوق المستضعفين في الارض حتى النهاية .ثم اضفت ، ولكن لديك طريقة واحدة اذا اردت ان تمكنني من التعاون معك فأجاب على الفور : وما هي ؟ اطلب تشتهي ، فقلت له : اذا اتاك الفلاحون يشكون لك جور القائد الفلاني وقهرته وحاربت الظلم والاستعباد فانك ولا شك تجدني بجانبك ، فسكت ولم يبد جوابا ومنذ ذلك العهد وشغله الشاغل نصب المكائد والدسائس ضدي وضد حزبي غير ان الفشل كان نصيبه .

انني ايها الاوراسيون ، سواء كنتم من المقهورين او من انصار الحكام والقياد الظالمين ، عندما احدثكم بهذه الحقائق لا للافتخار بها بل لتكونوا على علم باعمال هؤلاء الطغاة من حكام وقياد لكي تنزعوا الخوف والجبن الذي استوحدوا على نفوس البعض منكم ولكي تعلموا ايضا بان حقكم لن تأخذوه الا بنضالكم واتحادكم ، لهذا جئتكم والقيت عليكم هذه الكلمات ، وها انا اترك لكم الرفاق المسؤولين ليهتموا بمساعدتكم والسلام عليكم .

تقدم نحوي احد الفلاحين وقال : اذا كان حقا كما تقول فاسمع لي شكواي ، فقلت له وما هي : فأجاب كانت لي بغلة اعتاش من عملها صدمها سائق سيارة البلدية فقتلها ، ولم يعوضوني عليها بشيء ، ولم يقبلوا شكايتي .

- هيا لنذهب سوية للحاكم ، وتبعنا اثنان من الرفاق الخضير هتين وعكشة بولخراص ، دخلنا على الحاكم ، فسألنا ما الخبر ؟ فأجبته : لاتوجد لدى الفلاح الفقير سوي بغلةمن حطام الدنيا ، واصطدم بها سائق البلدية فقتلها ، وقد منعه جنودك من تقديم شكواه لكم ، فاجاب ليس لدي اي علم بحادث كهذا . لقد منعني الدواير من الاتصال بك اجاب الفلاح ، سأل الحاكم بدوره البريغادي سي محمد بن بوسعد : لماذا منعتم هذا الفلاح من تقديم شكواه ؟ لاننا كنا نجدك دائما مشغولا ، ولكن قال الحاكم ،أليس لدي معاون ؟ لقد كذبتم لانكم تحقرون اخوانكم ثم امره بالخروج من مكتبه فخرج مهرولا ، كم تساوي هذه البغلة ؟ سألني الحاكم ، وسألت بدوري الفلاح عن ثمنها الصحيح فأجاب : انها تساوي ثلاثين الف فرنك ، وهنا تناول الحاكم استمارة كتب على ظهرها تلك القيمة وأمره بالذهاب الى الخزناجي - امين الصندوق - فذهب لتوه .

قلت للحاكم ليس لهذا الامر فقط اتيناك،وانما لامر يشكوامنه الفلاحون كلهم وهو : ان القياد والوكالات ، يقدمون التموين للفلاحين بالكيل لا بالميزان ، وبهذه الطريقة يسرق عمالك الفلاحين ويبيعونهم حقهم ، فأجاب ان صعوبة المواصلات تجعل من الصعب التقيد بالميزان

... وأخيرا تم اتفاق على ان يتولى المسؤولون النقابيون توزيع التموين وكلف الرفيقان الخضير هنين وعكشة بو لخراص مراقبة هذه العملية ثم ودعناه وانصرفنا لتنظيم امورنا .

العودة الى باتنة

ذهبت فيما بعد الى باتنة ،وهناك ذهبت مع بعض الرفاق الى اجتماع انتخابي نظمه الحكيم بن جلول لمجابهته ، وعقد برئاسة السيد قاضي عبد القادر ، وبعد افتتاح الاجتماع اعطى الرئيس الكلمة الى الحكيم بن جلول وأضاف قائلا : انني سأعطي الكلمة لكل من يريد الاجابة على خطاب الحكيم بن جلول ، وبعدما حيا الخطيب الحاضرين بدأ في شرح اعماله السياسية في خدمة الشعب الجزائري ، منها حسب قوله : ترؤسه للمؤتمر الاسلامي الجزائري في شخصه ، ثم تابع قوله : وعندما وقعت حوادث ماي 1945 توجهت الى فرنسا للدفاع عن قضية شعبنا الجزائري ، غير انني عندما شاهدت الخلافات القائمة اليوم بين الاحزاب فضلت ان اتقدم للانتخابات بمفردي غير مقيد بحزب ما ، ومع ذلك فقد طلبت من الحزب الشيوعي الجزائري تأليف قائمة موحدة غير انه رفض طلبي وما ان اتم خطابه حتى طلب رئيس الاجتماع من الحاضرين من يريد الكلمة فنهضت مسرعا نحو منصة الخطابة ، وكان رئيس بلدية باتنة ، والهاشمي بن شنوف ،والدكتور الاخضاري وحامة ولد بن قانة في رئاسة الاجتماع ، بدأت كلمتي بقولي :

اسمحوا لي اذا لم اقم بالقاء خطاب عليكم ، لانني جئت للرد على ثلاث مسائل تناولها خطاب الخائن بن جلول ، ولما ذكرت كلمة الخائن ، ترددت اصوات الهتاف والتصفيق في سائر ارجاء الصالة ، ثم تابعت قولي : جاء في خطاب الحكيم قوله : انه ترأس المؤتمر الاسلامي الجزائري ، اجل هذا صحيح ، لقد منحه الشعب الجزائري ثقة تامة ، وولاه رئاسة المؤتمر الاسلامي الذي كان رمز الوحدة في النضال ضد المستعمرين في الجزائر ، لانه كان يظن فيه مناضلا عربيا صميما ، وتتوسم فيه الشجاعة يأمل منه السير بقضيته الى الامام ، حتى طبع اسمه على المناديل والمحارم التى سماها - محارم بن جلول - ولكن يا للاسف انه خان القضية التى القاها الشعب على عاتقه . انه ذهب الى فرنسا وهناك طرز مقالا لجريدة : "مارسيليا ماتان " طالبا فيه السلطات الفرنسية بالضرب على ايدي جمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري كأكبر خطر على الوجود الفرنسي في الجزائر ، أمثل هذا ينتخبه الشعب الجزائري لرئاسة المؤتمر ؟

يقول الحكيم ايضا انه دافع عن الشعب الجزائري في حوادث ماي 1945 ، حقا انه سافر كما يقول الى فرنسا صحبة بن شنوف وبن قانة ، ولكنهم طلبوا من السلطات الاستعمارية ارسال المزيد ولا سيما من جنود اللفيف الاجنبي ، وبالفعل أرسل المستعمرون المزيد من الجند لقهر شعبنا الجزائري واخماد صوته المتعاظم في طلب الحرية والاستقلال ، أبمثل هذه الاساليب يدافع الحكيم وانصاره عن الشعب الجزائري ؟ ذكر بن جلول في خطابه

انه طلب تأليف قائمة موحدة مع الحزب الشيوعي الجزائري ، فرفض الحزب طلبه ، ان هذا منتهى الوقاحة كيف يطلب من الحزب الشيوعي الجزائري تأليف قائمة موحدة معه وهو مرشح السلطة الفرنسية في الجزائر ، بينما الحزب الشيوعي يناضل بكل قواه ضدها ، انه يريد حشر حزبنا في زمرة الخونة وامثاله ، الذين باعوا الجزائر للمستعمرين الفرنسيين مقابل الخمور ، فكيف لا يرفض الحزب أمثال هؤلاء الخونة ؟ ماذا تقولون انتم ايها الحاضرون ؟ اليس هؤلاء الجالسون فوق هذه المنصة بأعدائكم ؟ فأجابوا كلهم بصوت واحد نعم ، وهنا التفت الى بن جلول وقلت له ان الشعب الجزائري اليوم ليس بشعب عام 1936، ان للشعب الجزائري اليوم أحزاب قوية ، وزعماء سياسيون مخلصون حنكتهم التجارب ، قادة بارعون في فنون النضال عقدوا العزم على تحرير شعبنا من جور الاستغلال الاستعماري والرأسمالي الجائر ، ليسوا بحاجة للمتذبذبين والمرتدين والخونة ، ولن تنفعك سياستك القديمة مهما زودك المستعمر بالاموال والسيارات الفخمة ، لتمهد لهم طريق العودة الى طغيانهم القديم .

انا نحن الشيوعيين الجزائريين نسير على اقدامنا للقيام بواجباتنا تجاه شعبنا العامل والفلاح ، ولو كانت لدينا سيارة واحدة لاتبعناك اينما حللت لينكشف امام الشعب كله عن فضائحك وهي كثيرة ، وقد قال تعالى : لا يستوي الخبيث والطيب " . والشيوعيون ليسوا بخبثاء ليألفوا قائمة موحدة مع امثالك ، لقد انجلى الصباح وانتبه الراقدون من نومهم ، فلا مجال بعد اليوم للخبث والتلاعب بالشعب والسلام عليكم .

وما ان انتهيت من القاء كلمتي هذه ، حتى وقف الحاضرون كلهم وكانوا يهتفون بملء اصواتهم ، ويهددون بن جلول بقولهم : اخرج ياخبيث ، وما ان نزلت من المنصة حتى حملني العمال والفلاحون على اعناقهم حتى خارج الصالة بالتهليل والتصفيق والهتافات لي ولحزبي الشيوعي الجزائري ، واما بن جلول واعوانه فقد ارغموا على الخروج من الباب الخلفي خوفا انتقام الشعب ، مع ان الصالة كانت تغص برجال الشرطة والقياد ، ومختلف الموظفين في الاجهزة الحكومية . وقد أتاني البعض من جمعية العلماء يهنؤني على موقفي هذا، وكشفي اعمال هذا الطاغية عون الاستعمار و مؤكدين صحة اقوالي في وصف اعماله .

عدت بعد ذلك للجزائر العاصمة ، فوجدت الرفاق قد خططوا برنامجا للقيام بجولة في نواحي المدية ، البرواقية وقصر البخاري ، قمت على الاثر بهذه الجولة الى ان وصلت بلدة عين بوسيف، وهنا نظمت بمساعدة الرفاق المحليين نقابات لصغار الفلاحين . وعندما ذهبنا لحاكم هذه البلدة بطلب رخصة لتنظيم اجتماع عام ، اجابنا بالموافقة غير انه اشترط علينا تجنب القدح والذم بشخصه ، فأجبته : اننا لم نأت هنا لغاية مدح يزيد ولا ذم عمر ، وانما اتينا لتنظيم صغار الفلاحين ومساعدتهم على المطالبة بحقوقهم .

لم يكد رفيقنا زقان يفتتح الاجتماع حتى شاهدنا الحاكم صحبة القياد والمعمرين الفرنسيين يأخذون اماكنهم بين الحاضرين.

وبعدما عرف الرفيق رئيس الاجتماع الحاضرين بشخصي قدم لي الكلمة . شكرت في البدء بعد التحية الحاضرين ، لاقبالهم بكثرة على هذا الاجتماع رغم الموانع والعراقيل ، وعلى حسن اهتمامهم بقضية الفلاحين الصغار التى لا يمكن فصلها عن قضية شعبنا الكبرى ، ثم شرحت لهم الهدف من قدومنا ، ويقتصر في هذه المرحلة على تنظيم نقابات لصغار الفلاحين كي يتمكنوا من توحيد صفوفهم والدفاع عن حقوقهم التي اغتصبها الحكام والقياد وأضفت قائلا :
بلغنا ان المسؤولين في ناحيتكم من حكام وقياد لم يقدموا لكم ولا سيما لفقراء الفلاحين والعمال منكم ، سوى القليل من التموين المخصص لناحيتكم ، والقسم الكبير منه يباع في السوق السوداء.

ان هؤلاء القياد الذين اصبحواكالملوك ، يتبخترون امامكم ، تزين صدورهم مختلف الاوسمة الفرنسية ، يختالون عليكم بها قصد ارهابكم ، هم الذين يستحوذون على ارزاق الارامل والعجزة ، والايتام والفقراء دون رحمة ولا خجل، اني اقول لهمَ : من الاشرف لكم لو قمتم بقطع الطرق علينا من أن تختلسوا أقوات الجماهير العاملة والفلاحين الفقراء وتتركونهم عرضة للجوع والموت وانتم ترونهم بأعينكم وهمكم الاكبر هو الاختيال على الشعب ببرانيسكم البراقة وقنانيركم وهذا عار عليكم ايها السادة ، بينما المطلوب منكم هو الرفق بشعبكم المعذب المهان ، قبل ان يأتي يوم يحاسبكم فيه على ما جنته ايديكم فتندمون ولا ساعة مندم .

ثم توجهت للفلاحين بقولي : ها انتم ايها الاخوان الحاضرين قد تنظمت نقابتكم هنا في عين بوسيف برئاسة الرفيق زقان وتعرفونه كلكم ، قد تركنا لديه نسخة من قانون التموين لكي تسهروا على تطبيقه ، وها هو الحاكم والقياد يسمعون ، فان أبوا تطبيقه وأمعنوا في حرمانكم من حقوقكم فأخبرونا واياكم ان تخشوا تهديدهم وتتراجعوا امام ارهابهم ومؤامراتهم عن حقوقكم ، وما عليكم الاان تجندوا منذ اليوم صفوفكم وتوحدوا جموعكم ، لان بذلك اقوى ضمان لانتزاع حقوقكم المهضومة في اقرب وقت ، ولان الحق يؤخذ ولا يعطى ، ولله در الشاعر العربي القائل:

من كان سلاب الحقوق ، فكيف يعطيها اختيارا
من ليس يعطيها اختيارا يعطيها اضطرارا

لقد اضطرت الادارة الجزائرية الى تقنين حقكم في التموين ، فلا تدعو الحاكم والقياد يتصرفون بقوت عيالكم حسب أهوائهم ، لكي يعيشوا وأولادهم حياة البذخ والفجور ، ويتركونكم وأولادكم فريسة للجوع والامراض والموت ، وما عليكم الا ان تهبوا للدفاع عن حقوقكم عن انفسكم داخل منظماتكم ونحن في عونكم ، والله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه ، هذه هي وصيتى لكم والسلام عليكم .

اتاني الحاكم اثر انقضاء الاجتماع معاتبا بقوله :
ألم أقل لك الا تذمني في الاجتماع ؟
فأجبته : انني لم اذم احدا ، ولم اذكر حتى اسمك في خطابي وانما ذكرت الحاكم والقياد بوجه عام ، الذين

يعتدون على حقوق الشعب ، فاذا شعرت بنفسك بانك من جماعة المذمومين فاللوم يعود عليك وليس علي ، عندها نظر الي شزراوقال :".. تعرف كفاش ترد الجواب "

جمع الحاكم قياده ، حسبما اعلمنا رفاقنا ذلك المساء وحذرهم بقوله :اذا بقي هذا الانسان يأتي هذه الناحية على الدوام ، فانه دون شك يستولي مع زقان وجماعته على سكان هذه الناحية ، لهذا يجب عمل شيىء ضدهم حتى لا يضع رجليه مرة اخرى في هذه الناحية ، .. وعليه فقد طلب مني الرفاق البقاء معهم تلك الليلة ، وكنت اقيم في منزل الرفيق زقان ، ويبعد بنحو كيلومتر عن البلدة ، فبقيت ساهرا الليلة معهم بعدما احتجزوا لي الغرفة في الفندق. ولم اكد ادخل غرفتي بعد السهرة حتى اتاني اخوة زقان مسلحين صحبة والدهم ، طالبين مصاحبتهم للانتقام من الحاكم الذي ارسل مع قياده من اعتدي على اخيهم بالضرب تلك الليلة . فأجبتهم اني ارى من الافضل ان تردوا السلاح قبل كل شيىء فامتثلوا لطلبي ، وبعد ذلك ذهبنا معا الى الطبيب لتشخيص الاعتداء ثم الى الدرك الفرنسي لاقامة دعوى على المعتدين ، وجدنا فيما بعد رفيقنا زقان سالما ، قد شبح رأسه بضربة عصا ، وبعد الفحص الطبي ، والعلاج اعلمت رفاقنا هاتفيا في الجزائر العاصمة بنبأ الحادث فطلبوا مني البقاء في عين بوسيف حتى تهدأ الحالة .

شاع خبر هذا الاعتداء في الدواوير المجاورة ، واتى الفلاحون في الصباح الباكر لعين بوسيف من كل جانب وقد تملكهم الغضب ومنهم من يريد الانتقام من المعتدين ،

ولشدة محبتهم ولا سيما للرفيق زقان وكان يعمل مساعد طبي في نفس البلدة ، فاجتمعت بهم وطلبت منهم التعقل والهدوء ، وسيتم الامر اذا حافظتم على هدوئكم ، قلت لهم لصالحكم وصالح منظمتكم الفتية ، ولا سيما وقد جمعنا من الادلة ما يكفي لادانة الحاكم والقايد ، وهكذا حتى هدؤوامن روعهم وغضبهم ، وأضفت قائلا : انكم تضيعون على انفسكم كل ما كسبتموه بنضالكم من حقوق ، وهذا ما يريده الحاكم في خلق هذه الاستفزازات. ثم عدت للجزائر بعدما مكثت 15 يوما بينهم .

قدم الحزب وادارة النقابة شكوى لولاية الجزائر بحاكم عين بوسيف وبالقائد مدعمة بالادلة الساطعة ، وتدين الحاكم والقائد بسرقة تموين تلك الناحية وبيعها في السوق السوداء وكانت النتيجة النهائية ، عزل الحاكم من منصبه ، ومعاقبة القائد بستة أشهر سجنا وبغرامة مالية قدرها 50 ألف فرنك.

طلب مني الرفاق فيما بعد القيام بجولة اخرى في ناحية البويرة وعين بسام ،وجدت الفلاحين في بلدة مايو... وقد تملكهم الغضب لرفض الحاكم مقابلتهم ، او حتى النظر في القانون الاساسي لمنظمتهم النقابية ، التي ابى الاعتراف بها. وبعد الاجتماع بهم ومناقشة هذه القضية معهم ، قررنا تأليف وفد صحبتي لمقابلة الحاكم ، ذهبت في اليوم التالي صحبة ذلك الوفد ، وطلبنا مقابلة الحاكم ، فأذن لي وحدي فقط بمقابلته غير انني طلبت من الرفاق متابعتي ، ولما دخلت مكتبه وشاهد الفلاحين صحبتي اشار لهم بالخروج قائلا "انا لم اذن لسواك بالدخول في مكتبي ، كيف ترفض يا سيادة الحاكم مقابلتهم ، اجبته ، مع انني لم آتي الى

هذا الا من أجلهم ، وقد قابلت بالامس السيد الوالي صحبتهم فليس من اللياقة ان ترفض اليوم مقابلتهم ، وبعدئذ اشار لنا بالدخول واتى بكراسي لجلوسنا.

سألت الحاكم بعد التحية عن الاسباب الداعية لرفض النظر في القانون الاساسي لمنظمة الفلاحين النقابية ـ فأجاب : **أتني بهذا القانون** ، فقدمه له أحد اعضاء الوفد ، فتناوله غاضبا،فقلت له أن المطلوّب منك يا سعادة الحاكم هو السماح بالدخول لممثلي النقابة كلما اتوا لمقابلتك ، لانهم هم المسؤولون عن الفلاحين في هذه الناحية ، أضاف خليفة الحاكم مشيرا اليه **بقوله** : اذا طلبت نواب النقابة اواي هيئة اجتماعية اخرى مقابلتك ، فلابد من الاستجابة لطلبهم ، وانتهت المقابلة على هذا الاساس.

خرجنا من عند الحاكم ، وكان الفلاحون النقابيون قد أعدوا الاجتماع العام ، وعلى هذا الاجتماع عرفنا الفلاحين بحقوقهم المشروعة ، وبواجب النقابة والمسؤولين النقابيين واشرنا عليهم بضرورة توحيد صفوفهم داخل نقاباتهم اذا ارادوا حقا الدفاع عن حقوقهم وانتزاع مطالبهم ، وعلى الاثر ذهبنا الى عين بسام ثم بير اغبالوا ، والبويرة وصور الغزلان ، وسيدي عيسى وأخيرا بوسعادة ، وتم في هذه الاماكن جميعا تنظيم نقابات صغار الفلاحين بنجاح.

عدت فيما بعد، ادراجي للجزائر العاصمة ، فوجدت

الرفاق قد خططوا برنامجا للقيام بجولة جديدة في ولاية وهران ومنها : مدينة وهران،الاصنام ، سيدى بلعباس ، تلمسان ، تيارت وغيرها ، وقد تمت هذه الجولة دون حوادث تستحق الذكر ، وبعد البحث ومناقشة نتائج هذه الجولة مع الرفاق في الجزائر وما ظهر في بعض الاماكن من الصعوبات التنظيمية ، وكذلك بعض القضايا الفنية والقانونية وغيرها ، اقترح علي الرفاق القيام بجولة اخرى في نواحي : تيزي وزو ، دلس ، العزازقة ، برج منايل ذراع الميزان ، باليسطرو ، وأخيرا عدت للجزائر بعد اتمام مهمتي بنجاح ايضا في هذه النواحي.

اخترت العودة فيما بعد الى ناحية جبال الاوراس ، المكان الذى بدا لي اكثر تطلعا للتنظيم الذي اقامه الحزب الشيوعي الجزائري لهم وأشد قابلية بالاعمال الثورية الجريئة بالتضحية اللازمة، وذلك لعدة أسباب منها تراكم الاضطهاد على سكان الاوراس أكثر من النواحي الاخرى ، وكذلك موقع جبال الاوراس الجغرافي في الحصين ولشدة تقشف سكان الاوراس وصبرهم على احتمال المكاره .. وانضباطهم الذى عودهم عليه الحزب الشيوعي الجزائري،وعدا ذلك فاني نشأت في هذه الناحية وتمرست بتقاليد سكانها ، واطلعت على افكار الفلاحين ، وبيني وبينهم ثقة قوية متبادلة وكان أول تنظيم حزبي أقيم في الاوراس اقامة الحزب الشيوعي من ناحية تنظيم الخلايا الشيوعية واللجان المحلية والمنطقية وكذلك الشبيبة والحركات النقابية والنسائية.

كان جبل الاوراس انذاك خاليا من تأثير الاحزاب لا الحكومة ولا القومية ، عدا حزب البيان بعد تأليفه ، (حركة الانتصار ولا يظهر هذان الحزبان الا في حالة الانتخابات بينما كان اتصال الحزب الشيوعي الجزائري دائم في الاوراس لانه كان يمثل الجماهير العاملة وفقراء الفلاحين ، ويعمل على تنظيمهم وكان في نضال دائم ضد استغلال الاقطاعيين وظلم القياد والبشاغوات وغيرهم بينما كان مثل هؤلاء الظالمين اعضاء من بعض الاحزاب الاخرى.

كان رفاقنا أمثال : شبشوب الصادق ، وبن سعدية وقرين بلقاسم وغيرهم ، من أوائل من خرج للمقاومة المسلحة في جبال الاوراس ، منذ أواخر الاربعينات و أوائل الخمسينات ، كنا على اتصال دائم بهم ونتبادل معهم الاراء والافكار ، ونعمل على انضاج افكار الفلاحين للثورة ، وعلى تدريبهم على النظام والاعمال السرية وحتى على الرماية .

وبعد التدريب على الاسلحة العسكرية الايطالية والالمانية التى كانوا يأتون بها من واد سوف ، انتقلنا الى مرحلة التعرف على الاوضاع الجغرافية في جبال الاوراس والاطلاع على ما فيها من كهوف ومضائق،مغامرات وخصون ، ومواقع المياه الدائمة منها والموقتة . كذلك الاطلاع على مختلف المخابىء للجوء اليها في الاوقات العصيبة كما كانوا يتمرنون على حرب العصابات

فيعينون قسما منهم للقيام بحرب الجبال ونصب الكمائن، وآخر يلتزم بجمع المؤون والاموال ، وثالث يبقى للعمل في الزراعة والانتاج ، ويخبر الثوار بما يطلع عليه من تحركات الجيش الفرنسي ، وما يسمعه أو يقرأه من أخبار .

وكنا ندربهم على كيفية إعلام الدواوير الاخرى في حالة ما اذا هاجم الجيش والدرك الفرنسي احدى الدواوير ومنها اطلاق النار بمختلف الطرق في الهواء ، كما حذرناهم من قبول من يود الانضمام الى صفوفهم اذا لم يعرفوه معرفة جيدة ، لكي لا يرسل المستعمرون اليهم بالخونة والجواسيس ، باسم الثوار وبذلك يقضون على انفسهم وان لا يبيحوا باسرارهم لاحد ، حتى لبعض من يرونهم ضعفاء من رفاقهم ولا يحسنون كتم الاسرار، ونبهناهم الى مراقبة حركات اوسلكات من يرتابون بامرهم .

وكنا ايضا نوصيهم اذا اعتقل الجند احدهم وعذبوه من واجبه ان يكذب عليهم ليبعدهم عن أماكن الثوار ويضللهم وهنا تلعب التربية السياسية دورا كبيرا ، وعليه فقد كانت الدروس السياسية في مقدمة الدروس الاخرى ، حتى يعرف المناضلون أهداف النضال المسلح قبل الاستقلال و بعده ومنها الاصلاح الزراعي الجذري وتأميم وسائل الانتاج الاساسية واسهام الطبقة العاملة في تسيير الانتاج ، و اطلاق الحريات الديمقراطية لكافة الثوريين والمنظمات الوطنية التقدمية والعمل على تصنيع البلاد والتخلص السريع من غائلة التخلف ، وجعل العمل والثقافة في متناول الجميع ، كي يتمتع الجزائريون كلهم بخيرات بلادهم وبثرواتها الوطنية ،

أسوة بالبلدان الاشتراكية ، والاتحاد السوفياتي على الخصوص.

كثيرا ما كان يسألنا الفلاحون والمناضلون عن موعد الثورة وهل هو قريب ـ فكنا نجيبهم بأن الامر مرهون بالاوضاع العامة في بلادنا ، فلا يجب أن نثور نحن ويبقى الاخرون رقود لكى لا يتمكن المستعمر كما في السابق من سحق ثورتنا وعليه يجب ان لا نبدأ في ناحيتنا بالثورة حتى نتأكد من استعداد شعبنا بأسره من الناحيتين السياسية والتنظيمية ثم العسكرية للقيام بها ، وهذا لا يمنعنا من متابعة تدريب الفلاحين على الرماية ، حتى الاولاد الصغار والبنات والنساء والنضال في نفس الوقت لانتزاع مطالبنا اليومية ومقاومة طغيان الادارة الاستعمارية بكل الوسائل الممكنة . وكنا نوصيهم بعدم الاعتماد على الرفاق القدماء فقط ، لان تلك المرحلة قد انتهى أمرها ، بعدما أصبحتم أكفاء في السياسة والتنظيم والنضال الثوري.

سألت بعض المناضلين يوما عمن يختارونه لقيادتهم ، فيما اذا بدأت الثورة المسلحة فأجابوا : لمن نختار سواك للقيام بهذه المهمة في ناحيتنا ، فأجبتهم بكل تواضع ، انني لست أهلا للقيام بها اولا لكبر سني وعجزي عن الحركة ، ولن اقوى على القيام بما تتطلبه هذه المهمة من نشاط ولا سيما جسدي ، وللمثل اننا طاردنا العدو ويصبح أمر تنقلي عبئا عليكم ، كما انني لا أحسن الرماية بالسلاح العسكري مثلكم وعليه ، من الافضل اختيار لجنة من بينكم تعمل بالتشاور بين أعضائها وتهيئة ولا سيما الشبان الذين من الواجب تربيتهم

سياسيا وتدريبهم على النضال مثلكم في سائر الميادين والمهم معرفة اختيار المسؤولين ووضع كل واحد منهم في المكان الذي يليق به ويستحقه، لان طبيعة المناضلين ليست متساوية وما يصلح لهذا لا يصلح لذلك ، والنقابيون في الغالب هم الاصلح لتربية الجيل الجديد على النضال .

وكما يدرب المستعمرون الجنود قبل ارسالهم للجبهة لتأمين النصر لهم ، كذلك من واجبنا تدريب المناضلين هنا لتأمين النصر المبين على اعدائنا الاستعماريين ، غير انني أوصيكم ان لا تخدعكم دعاية المستعمرين الكاذبة ، وما يطلقونه من اشاعات بواسطة اذاعاتهم وجرائدهم المعرضة المقصود بها تثبيط عزائمنا ، وارغامنا على التسليم لاستعمارهم وهذا نوع من الحرب يدعونها الحرب النفسية ، فلا ترهبكم وقوموا انتم بدعاية ضدها لتشجيع شعبكم وجنودكم ، بنشر اخبار معارك الثوار وانتصاراتهم في كل مكان ، لان الثورة تتركز على الدعاية لها ايضا.

اذا ذهبتم الى مناطق تجهلون سكانها للزيارة أو التجارة والعمل فاحذروا من ان تبوحوا باسراركم أمامهم ، لكي لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وساعدوا على غرس الروح الثورية بين من تجتمعون بهم من الجزائريين سواء كان في الاعراس أو في المقاهي والاسواق ، حتى وسط النساء ، لان الثورة بحاجة الى كافة الطاقات ولكن احذروا الخونة الذين لا يخلو منهم مكان وزمان. واذا ارتكب احدكم غلطة فلا بد ان يعترف لرفاقه بها ، ليأخذوا حذرهم ولكي لايقع احدا ضحية تلك الغلطة

وليتمكنوا من تصحيحها ، ارتكابها غلطة ليس بجريمة بل الجريمة في جحدها واخفائها على الحزب ، والامور لا تبنى في الحزب الا على الصدق والصراحة بين الرفاق المناضلين.

انكم تعرفونني منذ اكثر من ثلاثة سنة ، لم احاول ولو مرة واحدة ان اكذب عليكم وكنت احترس في جميع اقوالي من الوقوع في الزلل لان الكذب يحط من قيمة الرجال ، وهو محرم داخل حزبنا الذي لا مكان فيه وفي صفوفه للكاذبين.
وكنت اردد دوما على مسامعكم مثل هذه الاقوال التى رسخت في اذهانهم. ومنهم من سألني : لماذا اذن توعدنا دائما بالثورة وتقول لنا انها الطريق الوحيد لتحسين اوضاعنا وتوفير كرامة شعبنا ، ولكنك لغاية يومنا هذا لم تف بهذا الوعد كذلك تستهزىء بنا - معاذ الله ، قلت لهم ان استهزىء بكم واكذب عليكم ، نعم لقد قلت واقول لكم : ان الثورة آتية لا ريب فيها ، ان عاجلا او آجلا ، ولكن للثورة شروط من الضرورى معرفتها ، نحن لا نلعب بدماء شعبنا ، ولكن اذا قامت الثورة فسنسير بها كما قال"لينين" حتى النهاية.

لماذا اذن - اجبتهم - نتحمل وحزبنا هذه المشاق والاسفار والاتعاب ، لكى نأتي اليكم بصورة دائمة كما ترون من اقاصي الجزائر الى جبال الاوراس ، نترك اطفالنا وعائلاتنا واعمالنا وتجارتنا،ويسعى رفاقنا المناضلون بدأب وشجاعة في جميع ما يمكنهم جمعه من الفرنكات لتوفير مصاريف السفر وتنقلات الرفاق المسؤولين ، ونسير احيانا على اقدامنا عشرات الكيلومترات اثناء الليل واطراف النهار ، ونبذل جهودنا رخيصة في مساعدتكم على النضال والتنظيم ، ونعرض انفسنا لاخطار السجون والضرب ،والنفي ، والتعذيب والموت

ونتحمل اشد الاهانات التي لا يتورع البوليس والدرك والحكام الفرنسيون من توجيهها لرفاقنا قصد ارهابنا واذلالنا وارغامنا على الخضوع لسلطتهم الغاشمة ، وافشال مساعينا ونضالنا ، ونشر اليأس والقنوط في نفوسنا ، وهم يحاولون في نفس الوقت اغرائنا بمختلف الرشاوي ، ويعرضون علينا مختلف الوظائف قصد اتخاذنا آلة في ايديهم لمحاربة اماني شعبنا الغالية. لماذا تقاوم بشدة كافة هذه الوسائل الخبيثة لو لم نكن مقتنعين اشد الاقتناع بأن يوم الثورة آت لا ريب فيه ، وان استقلال شعبنا وتحريره نهائيا من مخلب المستعمرين الفرنسيين اصبح على الابواب.

ان كل من يعمل باخلاص لتحرير وطنه ، والدفاع عن حقوق شعبه المظلوم المهان ، لا ينتظر من المستعمر سوى ذلك، وكم من المناضلين الشيوعيين والثوريين اهينوا وشردوا وعذبوا واستشهدوا في سبيل حقوق جماهير شعبنا العاملة والفلاحين وتحرير بلادنا من رجس المستعمرين واستبدادهم ، واقامة نظام وطني ديمقراطي حقا يؤمن لشعبنا العامل والفلاح والمثقف الثوري العدالة الاجتماعية والسير نحو الاشتراكية.

واليوم قلت لهم ، وقد توسم فيكم حزبنا الشجاعة والاخلاص والاستعداد لتحمل اقصى التضحيات، وبالاخص بعدما تنظمتم في حزبكم الشيوعي الجزائري ونقاباتكم ، واظهرتم من المقدرة والشجاعة في الدفاع عن مطالبكم العاجلة والاجلة ، وعن حقوقكم مما يدفعني الى ان اشرح لكم ما هو ابعد من النضال في سبيل المطالب العاجلة ، الا وهو النضال من اجل التحرر

الوطني والاجتماعي في آن واحد ، اي التحرر من نير الاستعباد القومي والاستغلال الاقطاعي والرأسمالي.

انكم تعلمون اني لا اذيع سرا ، اذا قلت لكم ان اجدادكم هم الذين شيدوا هذه القلعة الاستراتيجية التاريخية الحصينة قلعة اكباش وبذلوا في سبيل بنائها على سفح هذا الجبل الشاهق أكبر الجهود وتحملوا اشد المشاق دفاعا عن موطنهم من تعديات المعتدين ، وقد اثبت آباؤكم باتحادهم ومقاومتهم البطولية وردهم كافة المعتدين على اعقابهم خاسرين ، مقدار تعلقهم وحبهم لوطنهم ، ولهذا الميراث العظيم الذى أورثوكم اياه أيها الاخوان والرفاق الاعزاء ، وعدا ذلك، فقد تحلى أجدادكم وآباؤكم بحسن الرأي.

الرأي فوق شجاعة الشجعان ، هو الاول وهي المحل الثاني كما تحلوا بالكرم والصدق والاخلاص ، ولو لا ذلك لخسروا كل شيىء ولا صبحتم اليوم مشتتين في البراري والقفار ، واذا حاولت تذكيركم قلت لهم ـ بتاريخ الاباء والاجداد ، عملا بقوله تعالى :"فذكر ، فان الذكرى تنفع المؤمنين".هذا لكي تزدادوا قوة وصلابة وايمانا في نضالكم واتحادكم ومحبة في اوطانكم ، هذا هو نموذج من أعمال حزبنا الشيوعي الجزائري بين الفلاحين.

بقيت قلعة اكباش في جبال الاوراس كما تقدم مخزنا للاسلحة ولتموين الثائرين ، الى ان وشى بعض الخونة لقيادة الجيش الفرنسى بأمرها فدمرتها بمدافعها تدميرا ، وشرد سكانها من عرش اولاد عبد الرحمن وكانوا كما تقدم ذوي شجاعة واقدام وصدق وكرم ، وكانوا عدا ذلك : ويد الله مع الجماعة

والتعاون بينهم في الحرث والحصاد ، ومساعدة الضعفاء منهم وعائلات المناضلين ، ويكثر بينهم عدد الشيوعيين اكثر من النواحي الاخرى في الاوراس ، مما دعا حاكم اريس آنئذ الفرنسى فابي الى تسمية قلعتهم بقلعة "استالينغراد" الاوراس ، وقد اعد طريقا خاصا حتى تلك القلعة تحسبا لاستعمالها عند الحاجة .

ويملك هذا العرش أرضا في الصحراء تدعى المزيرعة، ويعتني بتربية المواشى مثل المعز والضأن والبغال والقليل من البقر وبتربية النخيل ، كما يملك العرش النخيل في ناحية تدعى القصباية ، غير ان الجيش الفرنسى دمر خلال حرب التحرير جز ءا كبيرا من هذا النخيل ، وشتت سكان هذا الدوار ، وارغم الكثير من سكانه على الاقامة في دوار امشونش عدا بعض العائلات التي تمكنت من الاقامة في الكهوف والمغا رات ، كما كانت ملجأ عند الحاجة للثوار ، الى ان اتتهم جيوش الحلف الاطلسي فدمرت تلك الملاجىء وقتلت من وجدته حيا من الرجال وبعض النساء ، وشردت العجزة والنساء والاطفال ، وسببت هذه الحملة الهمجية ضياع عشرين الف رأس من المعز وسبعة آلاف من الضأن وما يزيد عن 250 رأس من البغال والابقار ، كما ضاع النحل وتهشم النخيل ، وذلك انتقاما من سكان تلك الناحية الموسومين لدى الادارة الاستعمارية بالشيوعية والذين كانوا بمثابة الشرارة الاولى التىاندلعت منها نيران حرب التحرير في بلادنا بأسرها .

استشهد الكثير من رفاقنا الشيوعيين في الاوراس غدرا

على ايدي الخونة وعملاء الاستعمار والرجعية الجزائرية ، وفي مقدمة الشهداء كان رفيقنا المأسوف عليه العمراني العيد نقيب المحامين في باتنة ، وكذالك الرفيق جورج رفيني الخبير في حرب العصابات ومن المقاتلين القدماء في صفوف الجمهوريين الاسبان ضد تمرد الجنرال الفاشي فرانكو ، كما استشهد الكثير من رفاقنا الاوراسيين الذين قتلوا غدراومنهم :الرفاق رفرافي الصادق وأخيه مصطفى ، ورفرافي المولود ، وتاسوريت سي لخضر ، تاسوريت بلقسام سي الحاج ، وتاسوريت المسعود وعمران علي ، وعمران محمد ، وعمران عبد الحميد ، وتامشماشت محمد بن مبارك وابنه ، وطهراوي حامة ، وطهراوي سي لخضر وطهراوي الحاج مصطفى وغيرهم ...

استشهد هؤلاء جميعهم عند بدء الثورة بطرق الاحتيال والخديعة ، منهم من قيل لهم : ان الاعراش تثق بكم لذلك اخترناكم للتعاون سرية على جمع المؤون والاموال لجيش التحرير ، بينما اقاموا لهم في نفس الوقت كمينا في الطريق قضى عليهم ، ومنهم من دعي (ولا سيما من رفاقنا المسؤولين) لحضور اجتماع في الليل ولم يعودوا ليومنا هذا - وقيل لاحد الرفاق ان رفيقك فلان يطلب مقابلتك على الاجتماع الفلاني فذهب ولم يعد ، وهكذا حتى اتضح الامر وكان اعوان الاستعمار والرجعية هؤلاء يختارون بمثل هذه الطرق سوى اشد المناضلين حزما واخلاصا ، واقواهم على المستعمر شكيمة ، وخبرة في التنظيم والنضال بشكليه المسلح وغير المسلح. اما الذين استشهدوا في ساحة المعارك من رفاقنا في جبال الاوراس فكثير جدا .

وهكذا ايضا وقع لرفاقنا المخلصين حتى في فرنسا ، من

جانب اناس كانوا بالامس يدعون بانهم قمة الوطنية ويتهمون الاخرين بالخيانة والعمالة للامبرياليين. وما ان دوت حرب التحرير في الصعود ، حتى رأيناهم يجندون قواهم وانفسهم لامع الثورة بل ضدها ، ويصوبون أسلحتهم لا لصدور جيوش المستعمرين الغزاة بل لصدور جنود حرب التحرير و المناضلين في الجبهة والشيوعيين،وكم من المرات ولوا منعي من متابعة نشاطي الحزبي بواسطة التمثيل في فرنسا ، كما حاولوا اغتيالي لكن الله حفظني منمكائدهم وخيانتهم .

رشحني الحزب عام 1954 للانتخابات في سيدي عقبة وسيدي خليل واليانة ، مقابل ابناء بن قانة سليم وبو لخراص وكان اجتماع اقمته مع الرفاق بهذه المناسبة في بلدة سيدي عقبة ، توجهت لجميع المحتشد، بعد اعطائي الكلمة ، قبل كل شيء بالشكر والثناء على استجابتهم للدعوة التى قدمتها منظمة الحزب اليهم ، والاستماع الى رأي حزبنا الشيوعي الجزائري في هذه الظروف العصيبة ، ومما قلته لهم ، ان بن قانة قد توفي لكنه ترككم ارثا لاولاده من بعده ، وهم اليوم كما ترونهم يتخاصمون فيما بينهم على من ينال حصة الاسد من استغلالكم بعد وفاة أبيهم ، وها انا قد رشحني حزبي كي اكشف الستار عن اعمالهم الاجرامية واعوانهم الجواسيس ، الذين يتظاهرون لنا بالمودة ، ولا يدعونني لتناول طعام الغذاء والعشاء الا لكي ينقلوا أقوالي الى سيدهم بن قانة ، وهم يظنون اننا في غفلة عنهم وعن مؤامراتهم غير انني اقول لهم ان ما تنتظرونه مني سأشرحه امام الشعب كله . وعليهم ابلاغه لحكومتكم واسيادهم ليلقوا على القبض كي يشفوا غليلهم مني ومن حزبي .

انني اقول لهم الا يكفيكم ما قمتم به من اعمال الوشايات والدسائس منذ 1920 وانتم تدبرون المؤامرات وتحيكون الدسائس ، هل استطعتم انتم واسيادكم القضاء على حزبنا وعلى شخصي ؟ انكم ايها الجبناء بأعمالكم هذه تعتدون على حقوقكم ، وتخربون بيوتكم بأيديكم ، وتطفئون النور الذي يهديكم الى الصراط المستقيم . انني ترشحت لهذه الانتخابات لا طمعا في النيابة ، وانما لكشف مؤامرات المستعمرين والمستترين خلفهم .

اننا لا نريد منكم الا ان تكونوا رجالا تدافعون عن وطنكم و حقوقكم وان تتركوا الاوهام في المستعمر والخوف منه ، انظروا الي ، انني منذ سنين عديدة وانا اقاوم مع حزبي الحكام الاستعماريين واعوانهم ، من باشاغاوات وقياد ولن اتراجع عن هذه المقاومة مهما اصابني من مكروه : سجن، تعذيب ، تشريد ، وكم من المرات حاولوا اغتيالي لكنني ما زلت كما ترون حيا أرزق لقد بلغنا ان اذناب المستعمرين كانوا يأخذون منكم بطاقاتكم الانتخابية كي يصوتوا بها باسمكم على اسيادكم ، غيراننا سنقف لهم هذه المرة بالمرصاد ولن ندع احدا مهما علا شأنه ان يمارس مثل هذا الاعتداء على حقكم وما عليكم ايها الاخوان والرفاق الا ان تذهبوا الى صناديق الاقتراع وان تمارسوا حقكم في الانتخاب ولا تخشوا لومة لائم ، وانتم ايها الوشاة والاذناب اذهبوا الى اسيادكم وبلغوهم ما قلناه هنا .

انكم تعلمون جيدا ان سيدكم بن قانة حاول بالفعل قتلي لكن هو الذي رغم جبروته مات كمدا ،اما انا العبد الفقير، ما زلت اجاهد بقوتي وقوة حزبي ضد القهر والطغيان

الاستعماري ، ولن نتراجع ابدا حتى النصر الاخير وهو قريب ان شاء الله ، تذكروا هذه الكلمات ، اذ فربما تكون كلماتي الاخيرة لكم ، واسمحوا لي ان لا اتكلم عن المرشحين الاخرين لانكم تعرفونهم حق المعرفة وهما لم يترشحا الا بدافع من السلطات الاستعمارية ا لمحلية ليتقاسموكم كغنيمة فيما بينهم ، وان ما ابديناه من المقاومة ضد والدهم لا زلنا مثابرين عليه حتى نقضي على الظلم والاستغلال في بلادنا والسلام عليكم .

دخلت يوم الانتخاب مكتب الاقتراع ، وتوجهت للرئيس والاعضاء بقولي : انكم تعرفونني جيدا ، فبينكم تربيت ومعكم قرأت ، وكل ما اطلبه منكم هو احترام القوانين وترك الناس يصوتون بحرية ، واذا اعتديتم علىّ حرمة القانون السابق فاننا سنأخذ موقفا آخرا لم تشاهدوا مثله في السابق ثم خرجت بعدما عينت من يراقب باسمي عملية التصويت.

لقد سر الفلاحون من موقفي هذا ، واتاني البعض من كبارهم ليعلموني بمقاطعتهم لكافة الانتخابات السالفة اما اليوم وبعدما اشفيت غليلنا بخطابك وموقفك الصحيح بكشفك اعمال هؤلاء الخونة الجواسيس ، فاننا سنصوت لك.

اتاني السيد بولخراص بن قانا يندب حظه ، ويطلب مني القيام معه باحتجاج مشترك ، ضد تصرفات السلطات المحلية بعدما خدعته ووقفت بجانب اخيه سليم ، فأجبته : بمن تريد تقديم هذا الاحتجاج ؟ ثم اضفت قائلا : ان نتائج الانتخابات كانت لدى ادارتكم كما تعلم ، مهياة منذ اليوم

الاول من اعلان الحملة الانتخابية لفائدة أخيك سليم وليس الهدف من ترشيحي لها سوى توسيع نطاق المقاومة الشعبية وكشف مؤامرات الحكومة وعدوان اعوانها على حقوق الجماهير العاملة والفلاحين ليتجندوا اكثر من السابق للدفاع عن حقوقهم وفرض حرية الانتخاب ، ثم لمعرفة قوة حزبنا الشيوعي الجزائري بما يناله من الاصوات في الاماكن التي نراقبها . اما انت فلا تتعب نفسك اذا اردت الاحتفاظ بمركزك فذهب لحال سبيله .

التقيت في اليوم الثاني من الانتخابات بجماعة مكتب الاقتراع قالوا لي : انك هددتنا بالامس بقولك : _ اذا اعتديتم على حرمة القانون فستتخذ موقفا لم تعهدوا مثله في السابق . وما هو هذا الموقف؟ هل اردت ان تأتينا بعرشك لتحطمنا ؟ انني لست بمتهور مثلكم لاقوم بمثل هذا العمل ، انكم تعلمون كم من المرات حاولوا اغتيالي فلم نسهم بمكروه ، مع اننا نعرفهم وقادرون على اغتيالهم ،لكن مبادئنا لن تسمح لنا بالقيام بمثل هذه المغامرات القذرة ، التي هي صفات المستعمرين واعوانهم ، وتحط من قدر القائمين بها من الناحيتين السياسية والانسانية .

ولكن اجاب احدهم قل لنا بالله عليك ، ماذا كنت تريد ان تصنع فيما لو تم التزوير في مكتبنا ؟ فأجبته ، كنت اود الهجوم مع رفاقي عليكم عند فتح الصندوق والشروع في تسجيل النتائج لكشف كل الاوراق ، حتى لو ادى ذلك الى اعتقالنا او قتلنا .

لاننا قررنا على مقاومة التزوير بكافة انواعه _ ها انك لم تنجح في الانتخاب اجابوني _ انني اعرف ذلك سلفا قلت لهم ، وهدفنا هو ان يمارس الفلاح والعامل والناخب بصورة عامة حقهم في التصويت دون اي ضغط و تزوير ، ثم اردفت اقول ، اريد منكم ان تجيبوني بصراحة كما اجبتكم ، هل كانت الانتخابات عندكم تسير في السابق على نفس الطريقة التي سارت عليها بالامس ؟ اجابوا : كلا ، انها المرة الاولى التي تسير فيها الانتخابات دون تزوير ، وقد تأثرنا ايضا بخطابك الذي لم نسمع مثله من المرشحين الاخرين ،فأجبتهم وهنا يمكن نجاحنا ، وكان الفائز في هذه الانتخابات هو كما قدرنا سلفا ، مرشح السلطات ، المحلية سليم بن قانة.

ذهبت فيما بعد الى الاوراس للاجتماع بالرفاق الشيوعيين هناك ومنهم عكشة بولخراص ، عكشة عمر ، وقرزة ، وعمروس محمد وحمزاويبلقاسم وغيرهم . لكي اعلمهم ما علمت به الرفاق في دوار تاجموت بنتيجة الاجتماع الذي تم بيني وبين سي مصطفى بن بولعيد ، ومرداسي سي محمد ، و عكشة سي محمد الذين عرضت عليهم تكوين جبهة موحدة بيننا في الاوراس ، والشروع في تدريب الفلاحين النقابيين والحزبيين وتهيئتهم للثورة ، واتفقنا جميعا على ان يبقى هذا الامر سرا مكتوما بيننا ، وطلبت منهم لكي لا يخبروا احزابهم ولا رؤساءهم بهذا القرار ، لانهم لن يقبلوا به لما بينهم من خلافات وحزازات حزبية وان يقوم كل واحد منا بتدريب صحابة دون ان يعلمهم بحقيقة الهدف من هذا التدريب لكي لا ينتشر الخبر وتأخذ السلطات الفرنسية احتياطاتها

حتى اتمام الاستعدادات ومنها التموين بالاعتدة والسلاح
انتقاء الرجال المؤهلين للمقاومة والذين لا يتجاوز عمر
احدهم 40 سنة ، ويتمتعون بصحة جيدة....

ثم اعلمت الرفاق بما قمت به من المساعي لتكوين
مثل هذه الجبهة ، وبقولي لممثلي الاحزاب الاخرى : انني
جئتكم لمطلب رأيكم في تكوين هذه الجبهة لكي لا تقولوا انك
قمت بالثورة وحدك ولماذا لم تعلمنا ، نحن مناضلون ومتعذبون
ومن الاوراس ، وكان كما قلت لهم اول من تناول الكلمة هو سي
مصطفى بن بولعيدوابدى موافقته على هذا الرأي حتى وان لم
يوافق عليه الاخرون ثم تكلم عكشة سي محمد من حزب - البيان-
وانا كذلك أوافق ، ويد الله مع الجميع ، ثم تكلم مرداسي سي
محمد من جمعية العلماء وقال : انا لن اتخلف عن الركب بل
يلزمني متابعته - .... عندها قلت لهم : ها هي يدي امد ها
اليكم ، واعاهدكم بالسير في هذه الثورة حتى النصر النهائي
واعاهدكم على ان لا اخبر اي حزب من الاحزاب حتى حزبي
الشيوعي بما تم بيننا من اتفاق ، فمدوا ايديهم وتعاهدوا على
ذلك ، وفي المساء تناولنا طعام العشاء عند مرداسي سي محمد
وقدم لنا بدوره المصحف وعليه جددنا العهد وطلبنا منه
قراءة الفاتحة لتأمين نصر الله لقضيتنا ، ثم افترقنا
ليعمل كل واحد منا في ناحيته .

وشي بي احد المسؤولين من حركة انتصار الحريات
الديمقراطية ويدعى محياس محمد ، وكان يتجسس علينا لدى
الحاكم السابق فابي - وشي بي للحاكم الجديد - روبي -
بدعوى اني اتيت من باتنة لإشعال نار الثورة في الاوراس ،

كما اعلمه بمكان اقامتي عند الرفيق عكشة بولخراص.

قابلني الحاكم الجديد بسيارته وكنت اسير صحبة
الرفيق عكشة عمر ، فقال له سائق سيارته ها هو شباح مكي
امامنا ، ولما وصلوا الينا امره الحاكم بالتوقف عن السير،
خرج الحاكم ، من سيارته وطلب مني هويتي ، وبعدما تصفحها
ردها لي ، ثم التفت الى عكشة عمر وطلب منه ايضا هويته
فأجابه : تركتها في منزلي ، فتركنا وانصرف عنا .

اتى حارس الحقول (شانبيط) في اليوم التالي بدعوة
الى بولخراص عكشة وبولخراص عمر ، وعمروس محمد لمقابلة
الحاكم ، فأتوا ليستشيروني في هذا الامر ، فأشرت عليهم
بالذهاب بمقابلته و اعلمتهم كما بلغني عنه بانه فظ غليظ
ولكن لا تخشونه ، فان قابلكم بالحسنى فأجيبوه بالحسن ، و
ان قابلكم بفظاظة فأجيبون بفظاظة اشد ، واياكم ان تخجلوا
منه واذا اصابكم مروه فاني قادم اليكم صحبة نقيب المحامين
في باتنة الرفيق عمراني العيد . وهكذا ذهب الثلاثة لمكتب
الحاكم الذي توجه الى الرفيق عكشة بولخراص بقوله :بلغني
انك تقيم الضيافات للشباح مكي ورفاقه ، فأجابه : نعم اني
اقيم الضيافات وهذا من طبائعنا نحن الاوراسيين ، ولم اطلب
من سيادتكم اعانة لهذا الغرض ، يبدو لي انك طويل اللسان
قال الحاكم ، اخرج قبل ان احطم رأسك بكرسي ، اسمع لي ايها
السيد الحاكم ، اجاب الرفيق بو لخراص ، كنت اظن انك
دعوتني لأمر يستوجب العتاب و السجن ، ومع احترامي لك في
مكتبك هذا كحاكم ، اطلب منك الخروج اذا اردت الضرب
بالكراسي ، ليرى الشعب من الذي يضرب صاحبه ، عندها امر

الحاكم البريغادي باخراجه من مكتبه ، لانه لا يريد النظـــــر في وجهه .

توجه الحاكم فيما بعد الى عكشة عمر بقوله : وانت لماذا تسير مع الشباح وهو محكوم عليه بالنفي من هنا ، فأجابه عمر اذا كان هو منفي من هنا ، لماذا لم تلق عليه القبض اذن ؟ فقال له الحاكم : وانت ايضا طويل اللسان كابن عمك ، ثـــم نادى حارس الحقول وقال له : اذا شاهدت هذا يسير مـــع الشباح فاعلمني فأجابه عمر ، اني اقول لك دون ان يعلمـــك الحارس باني لن افارق الشباح ، فأمر الحاكم باخراجه مـــن مكتبه .

واخيرا توجه الى الرفيق عمروس محمد قائلا : ما الذي اتى بك الى هنا ، انت من ناحية خنشلة ثم اضاف ، انـــي ساعلم حاكم خنشلة بأمرك وانك ما اتيت الى هنا الا لاقامـــة الفتن وتأليب سكان الدواويرعلي. فأجابه عمروس : انني قبل كل شيء جزائري ، ولن تستطيع لا انت ، ولا غيرك من الحكام حرماني من التجول في بلادي ، واما مسألة اعلامك حاكم خنشلة بأمري فانه قد يئس بعدما فشلت مساعيه كلها في تخويفـــي واما قولك باني ما اتيت هنا الا لتأليب السكان عليك وافسادهم فانني ما جئت الا لاصلاح مـا افسدته انت، وقيادك بعدوانكم على الفلاحين ونهب اموالهم ، وخيراتهم ، وخير شاهد على ما اقول اعتداؤك علينا ودعوتنا الى مكتبك دون عذر مبرر، الا للغطرسة علينا وتوجيه الاقوال البذيئة الينا ، عندها نادى الحاكم احد دوائره ، وقال له اخرج هذا الاخر من مكتبـــي،

واضاف : انني لم اشاهد في حياتي اناس بهذه الوقاحة كهؤلاء.

عاد الرفاق الي واخبروني بما دار بينهم وبين الحاكـــم من الجدال ، فتناولت الهاتف واخبرت الرفيق العمرانـــي العيد نقيب المحامين في باتنة بما وقع لرفاقنا مع حاكـــم اريس ، فوعدنا بالقدوم على جناح السرعة ،وبالفعل اتانـــا الرفيق العمراني ، وسرنا معا الى مكتب الحاكم فقابلنـــا خليفة (نائبة) وطلب منا السبب في قدومنا ، فأجابـــه الرفيق العمراني : أتينا لمقابلة الحاكم ، الحاكم توجه الى باتنة ، اجابنا نائبه ، لمقابلة نائب الوالي (سوبريفـــي) وما الداعي لهذه الزيارة ، اضاف نائب الحاكم ، اتينا للنظر معه في امر استدعائه لرفاقنا ولسوء سلوكه معهم اجاب الرفيق العمراني ايضا ، هذا امر لا يعنيني ، اجاب نائب الحاكم ثم عدنا ادراجنا بعدما ودعناه .

التقينا بالحاكم في سيارته عند عودتنا من مقره ، فأمر سائق سيارته بالوقوف ، وبعدما صافحنا قال : علمت عن طريق الهاتف بمجيئكم عندما كنت في مكتب نائب الوالي فـــي باتنة ، فما الغرض من هذه الزيارة فأجابه الرفيق العمراني ايضا علمت انك دعوت رفاقنا دون سبب وقابلتهم بخشونة ،ومن المعلوم لديك اننا نحن الشيوعيين نقاوم كلّ من اراد احتقارنا واهانتنا والاعتداء علينا ولن نتراجع عن مقاومته حتى ننفيه من بلادنا ، ولقد اقيل الحاكم (فابي) لهذا السبب من منصبه هو وقائده عابدي الصغير قائد دوار تاجموت .

اجاب الحاكم : علمت بأن الشباح مكي أتى من الجزائر الا لاشعال نيران الفتن والثورة في الاوراس ، فقال الرفيق العمراني ، ان الشباح مكي من الاوراس من دوار تاجموت وهو الذي كان السبب الاساسي في اقالة الحاكم (فابي) من منصبه وتحويله والقائد عابدي الصغير الى ناحية عنابة اسمحوا لي قال الحاكم ، اذا وقعت في الخطأ ، وارجو عدم نشر هذه القضية على صفحات الجرائد . فأجابه الرفيق العمراني بامكانك القاء نظرة غدا على صفحات "الجزائر الجمهورية" اذا لم يكن اسمك قد نشر ، ثم انصرف لحاله .

بعدما تم تنظيم الرفاق كما ينبغي رحلت من المدينة الى دوار بوحمار ، واقمت عند انسابي في دوار -تاغيت- اولاد سي السعيد وهو مكان حصين ، وخال من طرق السيارات . اندلعت ذلك العهد نيران الثورة ، واتاني يوم اندلاعها رسول على الساعة الرابعة صباحا ، طلب مني اخذ الاحتياطات اللازمة لاننا ، كما قال لي ، فجرنا الثورة في عدة اماكن ومنها دوار - عسيرة - حيث فتكوا بالقائد ومعلم المدرسة وزوجته ، ودمرت بعض الجسور ، فلم يأت مساء ذلك النهار حتى اخذت الطائرات تحلق فوق جبال الاوراس ، والدبابات تحيط بتلك الناحية التي فيها اقيم ، والقيت في اليوم التالي مناشير تطلب من السكان النزول الى دوار بوحمار ليتمركزوا في دشرة واحدة .

اتاني انسابي ببعض تلك المناشير ، طالبين رأيي فيما يجب ان يصنعون فقلت لهم يجب الرحيل ، قبل أن تحطمكم الطائرات والمدافع ، اجابوا : وهذه الديار والاموال لمن

نتركها ، وكيف نفعل بها ؟ كنتم تبخلون علينا بهاته الاموال كي نستعين بها على طرد الاستعمار من بلادنا ، وتقولون لي اخدم على اولادك خير لك من السياسة ، راك فقير ومفلس لقد خدمت عليهم وهم اليوم رجال يحملون السلاح لطرد العدو واما انتم فانظروا ما هو مصيركم ومصير اموالكم ، الرأي عندي هو ان ترحلوا اليوم قبل فوات الاوان . الا ترون الدبابات تحيط بكم من كل جانب .

بدأ في اليوم الثاني من القاء المناشير ضرب الجبال بالمدافع ، وقد تملك السكان الرعب عند سماعهم قصف المدافع وخرجوا على وجوههم هائمين ، تاركين كل شيء خلفهم حتى اولادهم الصغار ، وكل منهم يريد ان ينجو بنفسه ، وكنت قد رحلت قبلهم بيوم وقد اتاني اخي من دوار بوحمار ، ، ودخلنا الدشرة ليلا كي لا يشاهدني اعوان الحكومة والقائد ، وبقيت مختبئا لدى ابن عمي عمر ، وفي اليوم الثالث من قدومي اتاني الرفيق باردو محمد من دوار تاجموت ، وقال لي ان الجماعة يدعونك للاقامة عندهم ، وفي الليل خرجت صحبته بعيدا عن الدشرة ومعي حقيبة امتعتي فاستشرته اية طريق نسلك؟ فأجاب ان الطرق كلها موصودة ومن لا يجدون لديه رخصة المرور يلقون عليه القبض ، غير انهم منتشرون في كلمكان . طلبت منه العودة الى اخي لعله يجد لي طريقا للسفر بالحافلة الى باتنة غير ان السائق رفض سفري بحافلته الى باتنة ، لانه تلقى اوامر مشددة من الحاكم ، بعدم نقل اي انسان ليست لديه رخصة منه

في اليوم الرابع من قدومي للدشرة اتاني سي سليمان

صاحب الحافلة ، وقال لي : ان الطريق اليوم مفتوحة الى باتنة بسبب قدوم احد الوزراء الفرنسيين الى الاوراس ، فذهبت معه صحبة زوجتي وابني الصغير وكان لا يتجاوز الشهرين من العمر وبارد واسي محمد الى ان وصلنا الى باتنة .

ومنها عولت على السفر الى بسكرة وصدفة ، شاهدت الرفيق بن تيه فأعلمته بأني متوجه الى بسكرة ، فأجابني بدهشة : اياك ان تذهب الى بسكرة لانهم يبحثون عليك وقد اعتقلوا اخاك وبيتوه في السجن لكي يعلمهم عن مكان اقامتك ، وهو يحذرك من المجيىء الى بسكرة .

طلبت من سي محمد باردوان يذهب رفقة زوجتي وابني الصغير الى بسكرة ، وتوجهت الى قسنطينة ، ومنها للجزائر العاصمة ، اخبرت لدى وصولي الحزب بما وقع في الاوراس ، وما وقع لي شخصيا ، فأشار علي الرفاق بمقابلة الرفيق العربي بوهالي ، وكان في ذلك العهد ملاحقا ويعمل في سرية، التقيت به ليلا داخل تاكسي خرج بنا بعيدا عن العاصمة ، وبعد التفاهم طلب مني العودة الى الرفاق ، وان اعلمهم بما تم بيننا من التفاهم .

التقيت بالرفيق ايستورج ، وبعد المناقشة طلب مني الخروج قبل ان يتم القاء القبض عليك ، كما قال لي. ثم التقيت بعمار اوزقان صحبة اثنين من اصدقائي ، وهم جفال حسين وابراهيم بن أزقع ، ولما اخبرتهم بما وقع ، قال لي ابراهيم : انني اقيم وحدي في - فيلا - بعيدا عن الناس لهذا فأرى من الافضل ان تقيم عندي مختبئا الى ان نرى [illegible]خرا

فأجابه عمار اوزقان ، ليس هذا بالرأي السديد ، والافضل ان يسافر للخارج لاننا بحاجة الى رجال يعملون في الخارج ايضا ولكن ، قلت له : ليس لدى من المال سوى ثلاثة الاف فرنك لا تكفي حتى اجرة للسفر ، فتبرع الثلاثة لي كل واحد منهم بخمسة آلاف فرنك ، وكانت اجرة السفر بالطائرة تساوي 17آلاف فرنك . فذهب ابراهيم وحجز لي تذكرة بالطائرة الى جنيف ، وفيما التقيت بالرجل الذي بعثني اليه الاخ جفال الحسين ، فأكرم وقادني ، وارسلني الى برلين لدى صديق له ومن برلين توجهت الى شما ل فرنسا وكان لي هناك بعض الاقارب والاصدقاء ، فذهبت اليهم ، واقمت فيما بعد جمعية تمثيلية قبل ان ينتشر الخبر بوجودي ، واتيت بعائلتي اما اخي وسي محمد باردوا فقد اعتقلوا مع بن عمر سي محمد بن مصطفى ، وكثيرا ما كانوا يداهمون منازلهم في الليل بحثا عني .

وفي الخامس والعشرين من شهر يونيو 1955 صدر حكم علي بالاعدام غيابيا من محكمة باتنة ، وارسلت نسخة من حيثيات الحكم الى حاكم اريس روبي - وتوصل الى معرفة عنواني الذي قدمته عندما الفت جمعية تمثيلية و قد ارسل نص الحكم الى فرنسا طالبا اعتقالي . وبينما كنت ذات يوم جالسا في مقهى سي الصادق واذ بأعوان الامن العام الفرنسي يفاجؤونني بأمر اعتقالي ويقتادونني الى مركزهم مكبلا ولما مثلت امام الكوميسار قال لي ، انك - فلاقي - ولست بفذان كما تدعي وقد اتانا امر اعتقالك من محكمة باتنة . وقد حكمت عليك غيابيا بالاعدام بسبب اشعالك الثورة هناك ، ثم اتيت بنفس المهمة هنا .

انني يا حضرة الكوميسار لست ب ـ فلاقي ـ كما تدعون ولا علاقة لي بالثورة في الجزائر ، وقد اتيت الى هنا بحكم مهنتي كفنان كما اعلمتكم سابقا فأجاب : ارني هويتك ، ولما تصفحها وراجع نص الحكم ، وجد خلافا في احرف الاسم ومكان الولادة ، فاسمي في هويتي يحتوي على حرف باء واحدة والاسم المكتوب في النص يحتوي على حرفين للباء واسمي في هويتي مكي ، وفي نص الحكم ـمكيكي ـ ومسجل من مواليد سيدي عقبة وفي نص الحكم من مواليد اريس ، التفت الى الكوميسار متسائلا : اين مكان ولادتك ؟ فأجبته في بلدة سيدي عقبة . ثم اضاف : اليست هويتك هذه مزورة ؟ كلا ياحضرة الكوميسار انها ليست مزورة ، ثم قال : هل لديك بطاقة تدل على احترفك الفني والتمثيل ؟ نعم ياحضرة الكوميسار وقدمت له نسخة قديمة من رخصة بتأسيس جمعية الكوكب التمثيلي سنة 1937 ، وكذلك رخصة للقيام بجولة تمثيلية بناحية قسنطينة سنة 1951 وبعد فحصه تلك الاوراق قال لي : ان اسماءكم ايها العرب متشابهة ثم ـ اردف سائلا : هل اسم الشباح منتشر في الاوراس نعم اجبته و بكثرة ، واخيرا قال لي ، بعدما رد لي كافة اوراقي : سأجري تحقيقا اذا كنت حقا من مواليد سيدي عقبة وامرني بالانصاراف.

وبقيت سنتين تحت المراقبة ، وكان اعوان الامن ياتونني باسم المساعدة الاجتماعية ثلاث مرات في الاسبوع لمراقبة احوالي المنزلية وبعد ما تلقوا نسخة عن اوراق هويتي من سيدي عقبة رفعت الرقابة عني.

عرض علي الاخوان قيادة اعمال الجبهة هناك ، فأجبتهم انني متهم ولا ازال تحت مراقبة دائرة الامن العام الفرنسي

وقد تجاوزت الستين عاما من العمر ، ولا قدرة لي على التحرك وتحملي مسؤولية كبيرة مثل هذه ، غير انه في استطاعتي تحمل بعض المسؤوليات في الاعمال السرية . واخيرا اتفقنا على تكليفي بمهمة ارسال المحاربين عن طريق طرابلس (ليبيا) الى الجزائر ، وكانت علامة السر بيننا ان يمسني المرشح للسفر من الخنصر (اصبعي الصغير) ، وكنت اتكلف بارساله الى المانيا الغربية حيث يتولى ابني عبد الحميد ارسالهم الى طرابلس ، هكذا حتى الاستقلال.

ان ما سجلته من النشاط في تاريخ النضال الثوري منذ ان باشرت العمل في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري والنقابات الفلاحية ، لا يمثل سوى ناحية واحدة اساسية من نواحي النشاط الثوري المتعددة الجوانب والوجوه ، والذي ادى تراكمه الى انفجار الثورة وحرب التحرير الجزائرية هذه هي النظرة الموضوعية لتطور النضال الثوري ، ومع ذلك لم اذكر سوى القليل من هذا النشاط الثوري ، والنضال اليومي العنيف وما تحملته وتحمله حزبي الشيوعي الجزائري والنقابات من تضحيات جسمية ومن خسائر باهضة ، اسهمت بصورة مباشرة وغير مباشرة في رفع الوعي الوطني والاجتماعي لدى الجماهير العاملة الى مستوى الثورة ومعركة البناء الديمقراطي الخيار الاشتراكية سواء كان قبل الثورة او خلالهاو بعدها .

العودة الى الوطن بعد التشرد

عدت للجزائر في شهر اغسطس 1962 ، واقمت في باتنة عدة ايام ، ومنها انتقلت للجزائر العاصمة ، اين اعدت انشاء جمعية التمثيل ، وتعاقدت مع شركة افلام جزائرية على تصوير فيلم حول الثورة وما قبلها ، وشرعنا في تمثيل رواية بعنوان : بطل الصحراء - وارسلت لنا الشركة مسؤولا عنها لتصوير هذا الفيلم ، ولم يبق سوى وضع الكلمات الاخيرة للبدء في تمثيل الرواية ، حتى ارسل وزير الفلاحة عمار اوزقان في طلبي ، عارض علي مساعدة وزارته في اعمالها الزراعية في ناحية الاوراس ، ومما قاله لي : لقد استشهد الرجال المخلصون في الثورة ولم يبق منهم سوى القليل ومن هذا القليل انت ، في ناحية الاوراس ، لاسيما وانت معروف وانك دو ماضي مضيىء هناك واكثرية الفلاحين تثق بك ، وقد دعوتك لتنفيذ ما وعدنا به العمال والفلاحين . فقلت له : اني قد شرعت في تمثيل رواية سينمائية وتعاقدت مع شركة الافلام لتصويرها ، فأجاب : اننا لسنا بحاجة اليوم الى التمثيل وعليه يجب ان تترك الافلام لتصوير ها واخراجها ، واضاف لن تكون موظفا بل مدافعا كما كنت في السابق عن الفلاحين وبامكانك مناقشتي انا وزير الفلاحة اذا رأيت اعوجاجا في عمال وزارتي ، كعادتك في السابق ، فقلت له ، حتى استشير زملائي ، فأجاب ايضا : اني اود القيام بجولة في الاوراس ، ولهذا اطلب منك مقابلتي بعد يومين ، ولما عدت اليه قدم لي بيانا يتعلق بالاماكن التي سيزورها خلال جولته في الاوراس ولما سألته عن المهمة التي سأقوم بها اجاب ، سأكتب رسالة تقدمها الى والي باتنة لاجتماع بك وبالمسؤول الحزبي هناك كي

تعدوا الاماكن المطلوب زيارتها ، وسأطلب من الوالي لكي يقدم لك منزلا لاقامتك ، طالما انك تعمل متطوعا دون اجر في الوزارة ، ثم اتاني بتذكرة القطار لباتنة .

قابلت لدى وصولي باتنة الوالي السيد مقمول ، وقدمت له رسالة وزير الفلاحة ، فأمرني بالعودة اليه في اليوم التالي على الساعة الخامسة مساء للاجتماع سوية بمسؤول حزب جبهة التحرير الوطني ، ثم طلب من كاتبه ان يسير بي صحبته الى الفندق حتى يأتي الوزير ، عدت في اليوم التالي قبل الموعد لمكتب الوالي ، وطلبت من الحاجب اعلام الوالي بقدومي ، فعاد وطلب مني الانتظار ، وبعد برهة خرج المسؤول الحزبي من المكتب ، وبعد التحية استأذن بالانصراف لضيق الوقت لديه ، فعرفت ان هناك مؤامرة ضد وجودي ، لا سيما وان لي معرفة بماضي هذا المسؤول الحزبي منذ كان يعمل لدى نائب الوالي الفرنسي في باتنة ، ثم لدى حاكم آريس الفرنسي - فابي - الذي عينه رئيسا على دوار اولاد عابدي ، وكانت ترسل له في عهد الثورة الاموال من فرنسا قبل تكوين الجبهة كي يقدمها الى الثوار في الاوراس ، غير انه كان يتاجر بها مع ابن اخيه ، ولما تكونت الجبهة ارسلوا به تقريرا فأمرته الجبهة بالسفر الى تونس ، وكانت لديه حقيبة اخفاها عند احد الفلاحين في قرية منعة ، وعند البحث اقر بالدراهم الموجودة لديه ، واتى ممثلو الجبهة معه الى مسكن ذلك الفلاح وطلبوا منه تسليمهم الحقيبة المذكورة فأجابهم انه وضعها تحت السرير ، وعند فتحها وجدوا سبعة ملايين فرنك داخلها ، وعندما سألوا رب الدار اذا كان على علم بهذه الدراهم اجاب بالنفي . وعلى الاثر تشكلت محكمة شعبية حكمت عليه بالاعدام لو لم يشفع فيه سي عبد الرحمن بركات

الذي قتل الجيش الفرنسي ولده ، وتلك هي سيرة احـــــد المسؤولين الحزبيين في باتنة ، واظن انه لهذا السبب رفض حضوري معه لدى الوالي.

طلب الوالي من الحاجب حضوري بعد خروج المسؤول الحزبي من مكتبه وبادرني بقوله : ها نحن قد اعددنا برنامجا للجولة التي سيقوم بها الوزير في ناحيتنا لعلك توافق عليه ، فقلت له : الم يقل لكم الوزير بضرورة حضوري للمساهمة في اعداد هذا البرنامج ومناقشته معكم ؟ وعليه فلن اقدم اي رأي : سأعلم الوزير بموقفكم هذا . طلبت من الوالي اعداد سيارة لي للسفر الى اريس للاجتماع بنائب الوالي هناك ، فحولني الى منظمة الحزب وهناك طلب مني المسؤولون الحزبيون البقاء في باتنة ، لانهم سيقومون وحدهم بهذه المهمة تجاه الوزير للقيام بمهمتيفي هذا الميدان ، وهي لاتتنافى مع قيامكم من ناحية اخرى بواجبكم ليست لدينا سيارة اجابوني. عدت ادراجي لمكتب الوالي فكلف سائق سيارته بنقلي الى اريس ، وقابلت نائب الوالي حيث قضيت ليلتي وعند الصباح ذهبنا سوية الى دوار اشمونش واخبرناهم بقدوم الوزير للاستعداد لمقابلته ، ومن هناك عدنا الى مطار باتنة لاستقبال الوزير ، وفي طريق عودتنا بعد استقباله طلب مني اعلامه بنتيجة عملي فأخبرته بحقيقة الامر .

وجدنا لدى وصولنا الى دار الولاية قائد جيش تلك

الناحية وكافة المسؤولين على الهيئات الادارية والحزبية في استقبالنا ، ولما تقدم ممثلو الاذاعة والاعلام لالتقاط بعض الصور لنا ، طلب منهم الوزير التمهل حتى دعاني للمثول امامه وكنت بعيدا عنه واردف قائلا :دعوت الشباح مكي للوقوف بجانبي لاننا عرفناه سابقا في الاوراس ومن لم يعرفه منكم ولم يعرف مواقفه الجريئة ولا سيما من الطاغية الملقب بشيخ العرب بن قانة ، اما الشباح فقد لقبه بفرعون العرب لانه ارسله مكبل اليدين في ذيل جواد من بسكرة الى اولاد جلال ، وقد جابه قضايا كبيرة بعد خروجه من السجن غير ان النتيجة كانت موت بن قانة كمدا رغم جبروته ، اما الشباح، فلا يزال حيا كما ترونه شاهد استقلال الجزائر ، ولهذا كلفناه للقيام بمهام الفلاحين في هذه الناحية التي يعرفها جيدا ، وبعدما رحب بالحاضرين اضاف : هذه هي الجولة الاولى بذاتها في الاوراس لان الثورة بدأت هنا وقد فجرها ابناؤه الابطال.

كان الشباح يقول بأن الثورة سيرفع لوائها الاوراسيون وقد تحققت نبوءته لانه كلف بتنظيم الفلاحين في القطر الجزائري ، فدرس من خلال جولاته اوضاعهم ، اختار الاوراس دون كافة النواحي الجزائرية كمركز لاعماله ، فكانت نظرته صائبة ، وكنا لانجاريه في آرائه هذه ، اما اليوم وقد ظهرت صحتها فاني اطلب من الاوراسيين ان يبرهنوا مرة اخرى على شجاعتهم في معركة البناء والتشييد ، كما اطلب من كل المسؤولين الذين توجد في نواحيهم مزارع تركها المستوطنون الفرنسيون توزيعها على الفلاحين لاستغلالها وستمدهم الحكومة بآلات الحرث والحصاد والبذر الى ما

هنالك....

• عقد في المساء اجتماع لمديريي الفلاحة ، قدم خلاله مدير (الجمعية الزراعية للأحتياط) عرضا بالاعانة المالية التي طلبها من الحكومة لناحية الاوراس ، فألقيت عليه السؤال التالي : هل يتعلق هذا الطلب بناحية بسكرة وضواحيها ، ام يقتصر على ناحية باتنة ؟ فأجاب : ان تلك النواحي فقيرة لا تستطيع تأمين الفوائد المطلوبة ، اذن ، قلت له ، يجب حسب رأيك هذا القاء مليون من الناس من سكان تلك الناحية في البحر بعدما عاشوا مئات السنين فوق ارضهم ؟ عندها ، قال الوزير : يبدو ان العقلية الاستعمارية لا زالت تعشش في رأس هذا المدير ، واضاف موجها اقواله للمدير المذكور ، سأتفاهم واياك حول هذا الموضوع . ثم قال يجب ان تهتموا بسكان المزيرعة ودوار تاجموت ولا سيما مشتة كباش وان تساعدوهم على بناء مساكنهم ، بعدما تحملوا كل اثقال الارهاب الاستعماري من قتل رجالهم وتدمير منازلهم ونهب اموالهم ، وتشتيت جموعهم ، وهم لا يزالون مشتتين حتى يومنا هذا ، فأجاب مسؤول الحزب بقوله اننا اذا شيدنا لهم منازل لا يسكنونها والافضل ان ننقلهم الى ناحية السعدة ، عندها ، تدخلت في المناقشة بقولي : ان هذا الرأي غير معقول ، والاكيف يمكن اخلاء بلاد من سكانها وابعادهم الى ناحية السعدة ، في الوقت الذي تضيق فيه السعدة بسكانها ويشكون قلة الارض ، هذا الاول ، والثاني ان اراضي السعدة لا تبلغ الربع من مساحة اراضي المزيرعة. سأل الوزير مسؤول الحزب ، هل تعرف المزيرعة ؟ فأجاب سمعت بها ، اذن قال الوزير ، ان رأي الشباح هو الاصح لانه

ابن الوطن ، ويعرف المزيرعة وسعدة واهاليها تمام المعرفة ثم رفعت الجلسة ، بعدما قال الوزير : يجب ان اسافر غدا الى دوار تاجموت ، فلا بد من تهيئة ثلاث سيارات لنقل 15 شخصا .

توجه الوزير في اليوم التالي الى دوار امشونش حيث القى خطابا هناك ، وطلب متابعة السفر الى دوار تاجموت ، فأجاب المسؤول : ليس لدينا من النفط ما يكفي لبلوغ دوار تاجموت ، اذن هذا عمل تخريبي رد الوزير في وجه المسؤول ألم اقل لكم بالامس بأنني سأتوجه الى دوار تاجموت ؟ سأبحث هذه القضية عند عودتي مع الوالي ، واردف قائلا من سيذهب معي ، فأجاب مسؤول الحزب : سأذهب انا بصحبتك ، فالتفت الوزير نحوي قائلا : يجب ان تذهب الى اريس وتنتظرني الى ان اعود .

لقد بدا لي من هذه المسرحية ان هناك مؤامرة دبرها مسؤول لمنع الوزير والوفد المرافق له من زيارة دوار تاجموت الموصوف لديهم بالشيوعية ، ومشاهدة ما حل به من خراب ودمار ، وتوجيهه نحو دوار آخر ، بقي محتفظا بوضعيته السابقة وتلك هي اسباب المؤامرة التي حيكت شباكها ضدي كشيوعي منذ اليوم الاول من قدومي الى باتنة .

عاد الوزير من جولته الى آريس واصطحبني معه في سيارة الوالي الى باتنة كما طلبت منه ان يتكلف بأمر اقامتي في احدى المنازل دون ايجار ، لان الشباح قال الوزير يعرف

هذه الناحية جيدا وبامكانه اسداء مساعدة كبيرة لوزارة الفلاحة ولما عاد الوزير للجزائر ، ذهبت الى الوالي في طلب محل للسكن حسب توصيات الوزير فأجاب : لدينا مسكن ولكن ينبغي دفع ايجاره ، 6آلاف فرنك في الشهر . فقلت ليس لدي راتب لادفع مثل هذه القيمة ، لا سيما وانني اضحي بقوتي ومجهودي دون مقابل في سبيل الوطن : فأجاب : الوزير في وزارته - فتركته وذهبت الى المجلس البلدي وقابلت الرئيس واخبرته بما وقع لي مع الوالي ، فأجاب ، ارجع غدا ، لانني اريد استشارة المجلس البلدي في امرك و لما عدت اليه في يوم الغد، قال لي : ان الجماعة قررت اسكانك في منزل رئيس البلدية السابق ، لانك حسب رأي الجميع آهلالها على ما بذلته من الجهود في مقاومة المستعمرين ومساعدة الفلاحين والعمال والبطالين ، وحرر لي عقدا بذلك ، واطلع الوالي هاتفيا على هذا القرار ، فرد عليه الوالي بالرفض.

اضطررت لمقابلة الوالي مرة اخرى ، فسألته عن سبب رفضه لاعطائي السكن المذكور فأجاب : ماذا اقول لصاحب الملك لو اتى وطلب مني منزله ؟ فقلت له لا تهتم بهذا الامر، فاذا ما اتى فانني سأقابله بصفعة على قفاه ، اما اذا ما زلت تخافه حتى اليوم في عهد حكومتنا ، فانني لم اخافه في عهد دولته ، ومع ذلك فقد اصر علي رفضه الموافقة على قرار المجلس البلدي ، مما اضطرني للسفر الى الجزائر و مقابلة وزير الزراعة وعرض قضيتي امامه ، فأمر كاتبه بارسال برقية الى الوالي المذكور يطلب منه فيها السماح لي بالاقامة في المنزل الذي عينه لي المجلس البلدي دون ايجار ، حتى ولو حضر صاحب الملك وقدم لي نسخة من تلك البرقية .

عدت الى باتنة وقابلت الوالي فبادرني بقوله :تلقيت برقية من صديقك يأمرني فيها باعطائك المنزل دون ايجار ، فقلت له الم تقل ، سيفني الوزير في وزارته. ؟ - ثم اضفت : انك على خطأ اذا ظننت بأن فرنسا ستعود الى الجزائر من الطاقة بعدما طردت من الباب ، فأشار علي بالذهاب الى كاتبه ببرقية الوزير للقيام بالاجراءات اللازمة لاستلام المنزل الجديد وليس بوسعي الانتظار ولو ساعة واحدة هذا أمر مستحيل أجاب الكاتب ، يجب علي مراجعة القنصل الفرنسي واعلام رئيس البلدية ، وكوميسار الشرطة . ان هؤلاء جميعا اجبته في متناول يدك ، وما عليك الا ان تبلغهم هاتفيا بالامر ، سوف لا تتطلب منك هذه العملية اكثر من نصف ساعة ، والا سأعلم سعادة الوزير هاتفيا بأمرك ، وستكون النتيجة ابعادك من منصبك ولا سيما وان نشاطك السابق اصبح معروفا عند الجميع. امهلني ساعتين اجاب ، حسنا قلت له ، وبعد ساعتين عدت اليه فطلب مني الذهاب الى رئيس البلدية ، كي يرسل معك حارس الحقول (شامبيط) الى كوميسارية الشرطة ، وهناك يرسلون معك شرطيين لتقويم اثاث المنزل ، اما القنصل الفرنسي فقد رفض طلبك لما بينك وبينه من عداوة قديمة عندما كان حاكما في اريس.

ذهبت حالا الى رئيس البلدية فأرسل معي حارس الحقول كما ارسلت كومسارية الشرطة صحبتي شرطيين غير اننا وجدنا مسيو بودوشريك رئيس البلدية السابق يقيم في المنزل ، فأمره الشرطي ان يأتيه بمفتاح المنزل فرفض ، بحجة ان صاحب المنزل سيعود ، فأجبته : لقد مضى اكثر من شهر على الاجل المحدد لقدومه ، ولو كان سيعود حقا لما ختمته الدوائر

المسؤولة بطابعها ، غير انه بقي مصرا على رفضه ، يجب عليك ، قلت له ، تسليم المفتاح الان ، والا فستذهب كما ذهب شريكك ، اننا نعاملك باحترام وأدب ، ولن نعاملك كما كنتم وجيشكم تعاملون اهلنا ونساءنا ببقربطونهن وضرب المرأة الحامل بجنينها على وجهها ، وتدمير منازلنا ، واشعال النيران في حقولنا و متاجرنا ، الى ما هنالك من الاعمال البربرية المنكرة التي كنت ترتكبها و اشباهك ، ولو وكل الي الامر لما تركتك تعيش الى هذا اليوم في بلادنا . لقد اصيب بالدهشة عند سماعه هذا القول ، واخذ يرتعد كالنخلة يوم عاصف وأتى حالا بالمفتاح ، فطلب منه الشرطي البقاء للنظر في تقويم الاثاث الموجودة في المنزل فأجاب بالايجاب دخلنا المنزل وبعد تقويم ما فيه من متاع واثاث والتوقيع قدمت له نسخة منه ، ثم ذهبوا لحال سبيلهم بعد تسليمي المفتاح رسيما ، واقمت في هذا المنزل الجديد مع عائلتي التى اتيت بها من الجزائر ، ومما اثار حفيظة الرجعيين و البرجوازيين في باتنة و قلقهم الذين ابوا السكوت عن هذه الاهانة التى لحقت بهم ، باسكان شيوعي بينهم في منزل سيدهم القديم ، الذي كانوا يمالقونه ويعتزون به ، وبالعكس فقد فرح الفلاحون والعاملين فرحا شديدا بهذا العمل واعتبروه نصرا مبينا على المستعمرين والرجعية ، وباركوا لي هذاالمسكن الجديد .

وقعت في باتنة انذاك محاولة اختلاس ستين مليون فرنك كان ابطالها ثلاثة من اعضاء حزب جبهة التحرير الوطني . ذهب هؤلاء الثلاثة الى امين المال (الخزناجي) وطلبوا منه دفع القيمة المذكورة اعلاه بحجة شراء مواد غذائية

وتوزيعها على الشعب ، فأجابهم : ليس بامكاني دفع هذا المبلغ الا اذا اتيتوني بفاتورات من كبار التجار الذين ستشترون من عندهم هذه المواد ، فاتوه بالفاتورات المطلوبة من ستة من التجار . ثم اتوا لاستلام المبلغ المرقوم فأجابهم لقد ارسل المبلغ الى التجار ، وما عليكم الا ان تذهبوا اليهم وان تستلموا السلع الضرورية ، وعندما ذهبوا الى التجار الستة لم يجدوا لديهم السلع المطلوبة ، اطلعني الخزناجي بهذا الحادث ، فأشرت عليه اعلام الادارة المركزية في الجزائر في الحال ففعل ، فأتى فريق من الشرطة السرية من الجزائر واعتقلوا التجار الستة والمسؤولين الحزبيين الذين لهم ضلع فى هذا الاختلاس بما فيهم الوالي ، وبعد خمسة عشر يوما اطلق سراحهم وعادوا الى باتنة .

لم يكن مني امام اطلاق سراحهم وعودتهم الى باتنة الا ترك البلاد حرصا من مكائدهم ، والسفر للجزائر ، واعلام عمار اوزقان بما حدث وطلبت منه ان لا يعول علي منذ اليوم .

تركت الجزائر متوجها الى جنيف وصحبتى 350 الف فرنك قدمها لي ابني بعدما باع المنزل الذي كنت اقيم فيه في الجزائر ، ومنها الى تركيا ثم الى سوريا ولبنان ، ذهبت فيما بعد للسفارة السعودية في بيروت بطلب الحج فرفضت السفارة طلبي ... فعدت أدراجي للجزائر ، وجدت جماعة المختلسين مقدمين تقريرا في غيابي الى والي باتنة الجديد ، اتهموني فيه ببيع منزلي الجديد وما فيه من متاع ، وعلى الاثر ارسل الوالي في طلب زوجتي ، يسألها عن مكان وجودي فأجابته انه في الجزائر عند ابنائه ، ثم سألها عن المنزل وما فيه ممن

متاع فأجابته ايضا ان المنزل في مكانه والمتاع كذلك ،ومـــا زلت اقيم فيه مع اولادي ، فحذرها من بيعه ، فقالت له : كيف نبيع شيئا لا نملكه ، ومع ذلك ، أجابها سأرسل الشرطة الى مراقبة المنزل والمتاع .

التقيت بالوالي صدفة بعد قدومي الى باتنة ، فاستدعاني الى مكتبه فلم اذهب اليه ، فأرسل استدعاء رسميا ، فذهبت اليه في الموعد المحدد . بادرني الوالي عند دخولي مكتبه بسؤاله : اين كنت ؟ كنت اتفسح ، اجبته ، ، ثم اردف سائلا لماذا لم تحضر عندما دعوتك شفاهيا ؟ فماذا آتيك دوناستدعاء رسمي ؟ وعلى كل حال ها انا امامك . تملكه الغضب لهذا الجواب ، فضرب بقبضة يده على المنضدة بعنف صارخا لماذا تبيع ملكا ومتاعا ليس لك ؟ فأجبته : الرجاء ان لا تحمق وتكلمني بأدب واحترام كما اكلمك. انني احترمك يا سعادة الوالي ، ولكنك انت الذي لم تحترمني ، باسئلتك واجوبتك الاستفزازية الفظة ، وبضرباتك المتتابعة بعنف فوق المنضدة، التفت الوالي الى كاتبه آمرا : اطلب الشرطة والكوميسار ليأتوا فى الحين ، انني لست بمجرم ولا بسارق لتهددني بشرطتك ، ولم اتعد على القانون . وعندما دخل رجال الشرطة والكوميسار مكتبه ، قال لهم انه احتقرني وشمتني - انني لم اشتم انسانا قط في حياتي قلت لهم ، فكيف بالمسيو الوالي وها هو كاتبه شاهد على ذلك ، وانما هو الذي اعتدى علي باسئلته الاستفزازية وتعنتره علي ، وكل ما طلبته منه هو الوقوف على حد الادب في مخاطبتي ، وهذا هو سبب هياجه ودعوته اياكم .

التفت الوالي الى رجال الشرطة متسائلا : هل ذهبتم الى منزله؟ نعم ، اجاب رجال الشرطة ، وهل وجدتم المتاع المقوم بتمامه ؟ نعم لقد وجدنا كل شيء على حاله ، وهل لم يفقد ولم يكسر شيء؟ كلا لم يفقد ولم يكسر شيء . انك اتهمتني ياسعادة الوالي دون ترو او تحقيق ببيع المنزل والمتاع الذي في حوزتي ، واستدعيت زوجتي هنا موجها لها نفس التهمة ، فأجاب : اه لو لم تكن كبير السن لقضيتها معك، و"ماذا تنتظر اجبته ، انك السيد الوالي ، وانا العبد الفقير ، انسان بسيط ، ولكن لو جئت في العهد الفرنسي لقضيتها معك حتى لا تبقى يوما واحدا في باتنة ، لكنك جئت في عهد حكومتنا التى اجلها ، واحترمها ، واخشى ان اخلق لها مشاكلا جديدة فوق مشاكلها كما تفعل انت واشباهك."

تملك الوالي الغضب لجوابي هذا وصرخ في وجهي : اخرج من هنا ،اسمع لي ايها السيد،اجبته ، انت الذي دعوتني للقدوم اليك وهذه هي دعوتك ، لماذا التمرد من جانبك ، فتقدم مني احد رجال الشرطة وكوميسار وسارا معي الى خارج المكتب ولما ابتعدنا عن دار الولاية ، قال لي احدهم : اتعاند رجلا شرسا كهذا؟ ، انه شرس عليكم اجبته ، لانكم تخشونه حرصا على مناصبكم ، اما انا فليس من اخشاه الا الله ، انكم تعرفونني منذ عهد قديم ، لااعتدي على احد ، ولا اترك احدا يتعدى علي واخيرا ودعوني بقولهم : بارك الله فيك لا زلت لديك الجرأة القديمة التي عهدناها فيك سالفا..

مررت باحدى المقاهي وكان مقرا للاعيان والموظفين و الكتاب واذا بانسان يقابلني بالترحاب ، اهلا بصديقي وقرة عيني العزيز ، فأجبته انني لست بصديقك ، بل انـــا

سارق ، الست انا الذي اذاع بين الناس خبر سرقتي 14 مليون فرنك ؟ انكم تسرقون وتتهمون الابرياء لاخفاء سرقاتكم ، ها انتم كلكم هنا ، اروني من منكم قدم لي هذا المبلغ ومن اي بنك استلمته ؟ فأجاب كاتب الوالي ، اجل لم يدع هذه الدعاية سوى هذا الانسان ، ولكن الغريب هو معرفتك لهذا الخبر ، واستغربت ايضا امر قيامه من دون الناس للترحيب بقدومك ، فقلت له ، لانه سرق وشكوته وكنت على حق ، ولما علم بأمر سفري للجزائر ظن واصحابه بأنني سوف لا اعود الى باتنة ، فأخذ واصدقاؤه ، يطلقون مختلف الاشاعات حولي ، وغرضهم من ذلك اخراجي من منزلي ، وعندما شاهدوني ، وكشفت مؤامرتهم اتى يتملقني لستر نفسه واصحابه.

عينت فيما بعد مدير تعاضدية بيع التمور في بسكرة ، سألني في البدء امين مال هذه التعاضدية اذا كانت لدي خبرة في معرفة اصناف التمور فأجبته بالايجاب ، فسلمني مفتاح مخزن التمور . اجتمعت بحكم مهمتي الجديدة ببعض التجار الذين اعترفوا لي بمشاركة في نهب التمور ، وبسرورهم بمجيىء الذي سيضع حدا لهذا النهب ، لانني حسب رايهم ابن الوطن وذو ماضي نقي ، وقد ابديت لهم ارتياحي لهذا التعيين وبالاخص بعدما تحققت من تلاعب الايدى في اموال الشعب والحكومة واذا كتب لي البقاء هنا فانني سأبذل قصارى جهدي لتبديل هذه الحالة ان شاء الله . وبعدئذ اتوني ببعض وسطاء التجار اي المتوسطين ، الذين اتوا ليشكوا ما اصابهم من الحيف في عهد المدير السابق ، وكان لا يتعامل الا مع كبار التجار ، على اساس اتفاقات خاصة بينه وبينهم على شراء التمور بسعر وتسجيلها بسعر آخر ، وللمثل : كان يبيع

لهم التمور التى تباع في السوق بسعر 200دج لقنطار واحد ، ب170دج على ان يسجلوا لديهم سعرها ب120 دج ، وبهذه الطريقة كان يتقاسم اللصوص الغنيمة فيما بينهم للتجار 30 دج، و 50دج للدكتور وجماعته على القنطار و هم البديل ونائب الوالي ومدير جمعية ـلاساب ـ الفلاحية وبقيت هذه العملية في طي الكتمان بين التجار والمسؤولين الثلاثة .

اتصل كبار التجار بعد تعييني مدير المخزن للتمور برئيس التعاضدية وطلبوا منه ابعادي عن التعاضدية كشيوعي فرفض طلبهم ، وقال لهم : انه رجل مخلص وامين ويصلح لهذا العمل لنا وللحكومة ، وهو حسن السيرة وله كلمة مسموعة عندنا وفي الاوراس ، ولهذا لا ارى من الضروري امر ابعاده ، ولما لم يستجب لطلبهم دبروا مؤامرة ضده ، وعزلوه من منصبه وعينوا رئيسا اخرا محله .

اتاني فيما بعد امين مال التعاضدية ، ليعلمني بان الرئيس الجديد للتعاضدية قد قرر اقالتي من منصبي ، فأجبته انني لم اطلب هذا المنصب من احد ، وانما كلفت به بأمر الحكومة التى امرتني بالمجيىء اليكم . وعملكم هذا يبرهن على عصيانكم لاوامر الحكومة ، ولن اعمل مع اناس لا يقابلونني : ويقاومون اعمالي ، ولدى خروجي من المخزن التقيت ببعض الاصدقاء الذين اشاروا علي بالبقاء في منصبي واعلام الادارة المركزية في الجزائر بالحادث . اعلمت وزارة الزراعة هاتفيا بهذا الحادث فطلبوا مني تقديم تقرير به . ووعدوني بمقابلة وزير الزراعة في يوم الغد ، وبالفعل تمت المقابلة واعلمت

الوزير بكل ما حدث ، فأشار علي بالعودة الى بسكرة صحبة مبعوث الوزارة لمباشرة العمل في المركز الذي عينت به ، فرفضت عرضه هذا شاكرا ، انني لن اعود الى بسكرة قلت له ، ولن اعمل معكم طالما انكم لم تقوموا بأي تحقيق حول هذه القضية وما دامت هذه سياستكم ، واخيرا عينت مديرا لفندق تيمقاد ، فوجدت فيه نفس الوضعية التي وجدتها في بسكرة ، ورأيت نفسي عاجزا عن تقويم اي اعوجاج حتى عن البحث فيما يقع حولي من مهازل واختلاسات ، واخيرا قدمت استقالتي لوزير الزراعة ، الذي اجابني بقوله : اذا كان من هم امثالك من المناضلين القدماء يعجزون عن المساهمة في الادارة والتسيير فمن هو الذي سيقوم بهذا العمل ؟ اسمح لي اجبته ان اقدم لك مثلا واحدا بسيطا : اذا اتيت بكيلو من الطماطم السليمة ووضعته في سلة من الطماطم العفنة فان مصير ذلك الكيلو يكون العفن والفساد ، اليس من الافضل تصفية تلك السلة من الطماطم الفاسدة لحفظ السليمة من العفن اجاب الوزير اجل ، هذا كلام معقول ، ولكن من الصعب علي القيام بمثل هذا العمل في ادارة كلها من المختلسين فما العمل ؟.

اريد ان اعرض عليك رأيا لعلك تقبله ، فأجاب : تفضل اذا رأيته صائبا فسأقبله . ان اول عمل تقوم به هو اغلاق مخزن التمور في بسكرة ثم تؤلف لجنة من الاخصائيين الثقاة في التمور ، لتقوم بتقدير قيمة المحصول السنوى في غلة التمور بالقنطار ، لتبيعها بالجملة د ون معايسات ولا اختلاسات ، واما اذا بقيت دار لقمان على حالها ، فانه من الصعب مراقبة الاختلاسات طالما ان حاميها حراميها اقتنع الوزير بصواب هذا الرأي ، وطلب في الحال تطبيقه

فأمر كاتبه باغلاق مخزن التمور وعدم المس بغلتها حتى تأتي اللجنة لتقويم الغلة ، واتبعوا الطريقة التى اشرت بها .

انتقلت الى البادية وكانت لدينا املاك في المزيرعة قرب من زريبة الواد ، فوجدت اهل العرش كلهم مجتمعين ينتظرون السلطات المحلية التى تأتيهم لكي تبني لهم الديار وتستخرج المياه كما وعدتهم ، ولم يكن لديهم سوى بئرا واحدا ، ويقيمون في مغارات عفنة تعافها البهائم غير اهل لسكناها . فقلت لهم لقد دمر المستعمرون بلادنا ، و ليس بوسع الحكومة اصلاح ما افسده المستعمرون طيلة اكثر من قرن وبالاخص خلال حربنا التحريرية ، بضربة سحرية واحدة ، وما عليكم الا ان تشمروا عن سواعدكم ، وان تتعاونوا كما تعاونتم في السابق بطريقة - التويزة - لنبدء ببناء منازلنا ، ولنخصص ثلاثة ايام لاعادة بناء منزللكل واحد منا ويد الله مع الجماعة ، حتى نستعيد بناء قريتنا بكاملها وسأطلب لكم القروض اللازمة لهذا الغرض ، وعندها يأتي دورنا تساعدنا الحكومة على اقامة مانحن بحاجة اليه من آبار وابنية اخرى ومنها مدرسة ومستوصف الى ما هناك.

امتثل الجميع لهذا الرأي وبدأ العمل بجد في اعادة بناء الديار وحفر الابار ، وساعدتنا الحكومة بطلب منا على بناء مدرسة ومركز ثقافي . ولما اتى وزير الزراعة الجديد قريتنا خلال جولة قام بها في ناحيتنا استقبلته مع فريق من السكان ، وكان بصحبته مسؤول الحزب المذكور سابقا وبعد

القاء الخطبة التقليدية أرادوا العودة في الحال بحجة ان اعمالا ضخمة في انتظارهم ، غير انني توجهت للوزير وبعد التحية قلت له ، ان لهؤلاء الفلاحين يا سعادة الوزير ، الذين اتوا من اماكن بعيدة لاستقبالكم ، مطالب عديدة يودون اطلاعكم عليها ، فقال مسؤول الحزب ، ان مطالبكم كلها محفوظة لدينا ، فتناولت الكلمة من جديد قائلا : يريدون يا سعادة الوزير ابلاغك شفويا اياها ، وارجو ان تتفضل قبل كل شيء لمشاهدة مساكنهم ، فتبعني ولما شاهد تلك الغيران تنفس الصعداء واستغرب واغضاء الوفد المرافق له ، تلك الحالة ، فتقدمت له امرأة عجوز بثياب رثة فتك بها البؤس من كل جانب ويعلو وجهها الشاحب وثيابها الغبار مستحيرة قائلة : منذ اليوم الاول يا سيدي الوزير من ابتداء الثورة والجيش الفرنسي يطاردنا ، وكنا نقدم لجيشنا كل ما لدينا من مؤون وذخيرة ، وقد توفي زوجي تاركا خلفه هؤلاء الاولاد ولم نتراجع قيد انملة عن القيام بواجباتنا المقدسة طيلة ايام الحرب وكنا نمني انفسنا بالامال في الحياة الكريمة والسعادة بعد الاستقلال ، وها انت تشاهد اليوم على ما انا عليه واولادي الصغار الذين قتل ابوهم ليسعد ابناءه من بعده ، فمنذ الاستقلال ونحن مدفونون احياءا في هذا الغار ، وليس لدينا سوى بئرا واحدا ، وكم من طفل وامرأة سقطت به ، ولقيت حتفها ، وقد تسلطت علينا العقارب التي ذهب ضحية لدغها السام بعض الاطفال لفقدان الادوية .

اكفهر وجه الوزير لدى سماعه تلك الاقوال ، ولرؤيته والوفد المرافق له تلك الحالة الكئيبة البائسة وصرخ في وجه الوالي ومسؤول الحزب قائلا : الم ترسلوا الادوية الى

هؤلاء فأجبته ، كلا ، وليس في متناول هؤلاء سوى الموت التى تخطف احدهم من آن لاخر دون اي علاج ، كيف تتركونهم ؟، اضاف الوزير في مثل هذه الحالة البائسة ، مع اننا نرسل لكم الاموال الطائلة لاسعافهم ، والقيام بما يحتاجونه من مختلف المشاريع ، وتقدم شيخ طاعن في السن يشكو حاله ، وكان له ولدان يقومان باعالته استشهدا في صفوف جيش التحرير وبقي وحده ، لولا وجود من يعطف عليه من الاقارب والسكان لمات جوعا . واقدم جندي من قدماء المجاهدين شوهه الحرب التحريرية ، بقي رغم شكواه اي مساعدة وحاول آخرون التقدم فطلبت منهم الكف عن تقديم الشكايات بقولي : ان ما شاهده سيادة الوزير فيه الكفاية ، وتقدمت في نفس الوقت للوزير باقتراحين :

1- مساعدة هؤلاء الفلاحين على حفر الابار الارتوازية ،

2- اقامة بعض السدود لحصر المياه لهم ، ثم اضفت قائلا ان هذه التربة يا سيادة الوزير اخصب من اراضي المتيجة التي تفتخرون بها ، اذا توفرت المياه لها ، ورجوته الذهاب صحبتي لمشاهدة خصوبتها ، فسار معي والوفد المرافق له نحو بئر كنت بنيتها لري الخضار ، فاستغرب فور وصوله رؤية تلك الغابة من مختلف الخضار ، وطلب مني اسم شجيرة صغيرة جلبت انتباهه ، انها بصلة يا سعادة الوزير ، وعند فحصه جذورها ، تبين له وجود 12 بصلة تفرعت عن بصلة صغيرة واحدة .

ودعنا الوزير والوفد المرافق له وعادا الى باتنة ، بعدما وعد بمساعدتنا بكل ما نحن بحاجة اليه ، وقد قيل لنا انه اجتمع لدى وصوله الى باتنة باعوانه ، بدلا من البحث في

قضية المساعدة التى وعدنا بها ، قال للمجتمعين : يبدو لي ان هذا الرجل الذي قابلنا في المزيرعة خطيرا ، ويفسد علينااعمالنا ، فأجابه احدهم : ان هذا كل ما لدينا في الاوراس ، وهو رجل صالح ومناضل قديم ، الدليل على ذلك تجنيده الفلاحين للقيام باعمال عجزت الحكومة عن القيام بمثلها . غير ان الوزير لم يلبث سوى بضعة اشهر حتى فر من الجزائر الى فرنسا وبقيت انا في المزيرعة لمواصلة عملي بين اخواني الفلاحين.

قيل يومئذ لقد حكمت على نفسك بالشقاء مع فقراء الفلاحين ، اما الاخرون فهم ينعمون بالمزارع والمخازن والقصور والاموال التى استولوا عليها مع انهم لم يشاركوا مثلك في النضال لا من قريب ولا من بعيد . انني كافحت قلت لهم ، لكي يسعد الشعب بأجمعه ، لا لكي اسعد انا وحدي على اكتاف الشعب ، لا لكي استولي على القصور والمتاجر والمزارع ، لان تلك صفات الانتهازيين والمحتالين الذين يعيشون كالعلق على جبين الشعب ومن امتصاص دمه وعليه فانني ما زلت بينكم اقاسمكم شظف العيش والمصير لان تحسين حياتي مرتبط بتحسين حياتكم . ولو استوليت كما استولى الوصوليون من عديمي الشرف والاحساس الوطني والاجتماعي ، على المزارع والمتاجر والقصور ، لقلتم لي حينئذ لقد فارقتنا وعلوت علينا وتبرأت منا ومن ماضيك المجيد لهذا، بقيت معكم في السراء والضراء كما كنت معكم في المعارك ، ضد جبروت المستعمرين الفرنسيين حتى تحقق الاستقلال ، واليوم تروني بجانبكم في معركة البناء ومحاربة الرجعيين والانتهازيين والخونة .

اجتاحت الفيضانات عام 1966 المزروعات وبعض المنازل من قريتنا وتصدعت البئر التى بنيتها ، فطلبت من السيد الوالي قرضا لمساعدتنا على ترميم ما افسدته الفيضانات، فرفض طلبنا ، فاضطررت الى الذهاب اليه ومقابلته في باتنة ، وشرحت امامه ما لحق بنا من اضرار الفياضانات ، وطلبت منه قرضا بمائة الف فرنك لترميم البئر التي اصبحت على وشك الانهيار ، فأجاب : ليست لدينا الدراهم للقرض ، فقلت له :الم تحصلوا على مبلغ 75مليون فرنك لمساعدة منكوبى الفياضانات فأجاب : من اعلمك بذلك ؟ اعلمتني الجرائد يا سيادة الوالي. قدم لنا طلبا كتابيا اجاب الوالي . اجل قلت له لو اقدم لكم طلبا اليوم ، فلن يأتي الجواب الا بعد بضعة اشهر ، اي بعد خراب البحيرة لان البئر على وشك الانهيار ، وستكون النتيجة ضياع ولا سيما عائلتي وابنائي الصغار ، فمن المسؤول عن ذلك ؟ لا شك انك ستكون المسؤول الاول عن هذه الكارثة غير انه اصر على عناده وصرفني من مكتبه بخفي حنين ، ولم احصل بالنتيجة على مساعدة ، فتهدمت البئر وتلفت المزروعات وضاع النخيل.

لم يكتف السيد الوالي بمنع القروض عني وعن قريتنا بل اصدر امرا الى كوميسارية الشرطة باخراجي بالقوة من المنزل الذي اقيم فيه في باتنة . علمت بذلك عن طريق احد اصدقائي من جنود الشرطة ، ذهبت حالا الى دار الولاية فوجدت كاتب الوالي ، ورئيس مكتبه ، والمسؤول عن المساكن الشاغرة مجتمعين ، فقلت لهم : لحسن الحظ جمعكم الله ، لكي لا يقول كل واحد منكم ، ان الامر ليس لي ، فأجاب احدهم ما القضية ؟ فقلت لهم علمت باصداركم امرا بطردي

من منزلي دون انذار وقد اتيتكم لاصدار امرا آخرا بابعادي عن البلاد ، لكي تستريحوا من رجل يقف حسب رأيكم حجر عثرة أمام تقدم الجزائر. فأجاب واين ستذهب؟ سأذهب قلت له الى فرنسا.

اتذهب الى بلاد كنت تقاومها بالامس؟ اجاب احدهم ، وانت ولا سيما من المناضلين القدماء ؟ فقلت له : ومن اين عرفت انني مناضل ؟ هل اتيتكم بطلب مساعدة أو وظيفة بصفتي مناضل ؟ أجاب كلا ، ولكننا نعرفك جميعا بأنك مناضل قديم ، وان امر طردك من منزلك لم يصدر من عندنا ولا من عند الوالي ، بل من منظمة الحزب لاسكان المسؤول فقلت لهم اسحبوا امر الطرد من الكوميساريا ، وانا سأتدبر الامر مع منظمة الحزب ، فوافقوني على اقتراحي هذا وسحبوا أمر الطرد واعلموا الحزب باصراري على البقاء في المنزل.

استدعتني المنظمة الحزبية فيما بعد ، وذهبت في الموعد المحدد فوجدت شابا لا يتعدى العشرين ربيعا من عمره ، قابلني بجفاء ، وأمرني بنبرة جافة بالخروج من منزلي ، ولماذا ؟ اجبته ، لاننا بحاجة الى اسكان اناس اتوا من الخارج ، لتعليم ابنائنا القراءة ، اجاب الفتى ، نعم الرأي ، قلت له ، ولكن اليس من الافضل ايها الشاب المحترم ، اذا كنت حقا كما تزعم انك مناضل ومخلص ، وذو غيرة على تعليم ابنائنا الصغار القراءة والكتابة ، ان تقدم لهؤلاء المعلمين الاجانب منزلك الذي اغتصبته بطرق غير شرعية ، وتصرفت بما فيه من اثاث او متاع.

بلا مقابل ، وانت شاب عزب تعيش بمفردك ، وهو اكبر من منزلي. اما انا فلدي عائلة كبيرة وستة اطفال . انني دعوتك ، اجاب الفتى لكي تخرج من المنزل الذي تقيم فيه وليس لتقديم اقتراحاتك لنا ، كانك انت الذي تحكم هنا وليس نحن : قلت لك يجب عليك ان تخرج غدا من المنزل، فيجب عليك ان تخرج دون لف ولادوران ودون زيادة في الكلام ، هل فهمت ؟ اجل وانا اقول لك انني لن اخرج حيا من منزلي ، هذه آخر كلمة اقولها لك باختصار وافعل ما بدا لك.

ذهب الشاب في الحال الى رئيس بلدية باتنة ، واعلمه بما تم لي معه ، واضاف : ان الشباح رجل فظ، وليس على صواب في تعنته ورفضه الخروج من المنزل الذي يقيم فيه . فأجابه رئيس البلدية : لا شك بأنك تعرفه واعرفه ايضا انا ، انه من الاوائل الذين نظموا الثورة في الاوراس قبل ان تخلق انت على وجه الارض ، وهو الوحيد هنا في باتنة الذي قدم له منزل بأمر من رئاسة الحزب والحكومة ، وفي ذلك خير دليل على ماضيه المجيد. عاد الشاب فيما بعد الى مركز الحزب ، واستدعاني مرة اخرى لمقابلته ، ولما ذهبت اليه قابلني ببشاشة واحترام مستعذرا عما بدا منه نحوي ثم اضاف : لقد عرفني رئيس البلدية بماضيك المجيد لهذا ارسلت في طلبك لكي نتسامح بعدما اوقعني الاخرون في الخطأ. الحمد لله ، قلت له ، جعلتك من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، ثم ودعته وعدت ادراجي. وبعدئذ، التقيت برئيس البلدية

فأخبرته بما وقع بيني وبين ذلك الشاب.. بعد ايام توجهت الى نائب الوالي في اريس طالبا محركا (موتور) عموديا لضخ مياه البئر ، فكتب بطلبي رسالة الى شيخ بلدية آمشونش فرفض تسليمي ذلك المحرك ، ولم اتمكن من متابعة هذا المسعى بسبب وفاة رئيس البلدية المذكور بحادث سيارة وانهيار البئر التى حاولت عبثا ترميمها ، ولا سيما بعدما رفض والي باتنة مساعدتي ، وعلى الاثر سعيت لدى حارس الحقول في اريس لتقويم ما لحق بي من خسائر بسبب ذلك الفيضان في المزروعات والخضر والنخيل ، فكانت حسب تقويمه مليونا ومائتي فرنك ، هذا فضلا عن خسارة انهيار البئر واتلاف المحرك القديم وغير ذلك من الخسائر الاخرى. ولم تجد نفعا كافة المساعي التي قمت بها لدى ولاية باتنة ووزارة الزراعة ورئاسة الحكومة ، لولا مساعدة بعض الاصدقاء لي بباتنة لضاعت على الارض بما رحبت ، مع ان منزلي كان محط الرجال المظلومين ومهضومي الحقوق ، كما حرمت من التعويض العائلي على اثنين من ابنائي ، مع انهم كانوا يقدمون التعويض لمن هم اكبر سنا من ابناء الموسرين والاغنياء.

كان بعض كبار الموظفين ورجال الدولة في باتنة والا وراس يعاملونني بغلظة وجفاء ، ويخشون انتقادي لاختلاسهم ونهبهم اموال الشعب وسلوك بعضهم الشائن كما يخشى الرمد ضوء الشمس والغريب هو ان الكثير من اشد الناس رجعية وعداءا للثورة والمبادىء الاشتراكية من محتالين وخونة ، وعديمي الكفاءة والشرف ، كانوا يتصرفون بأمور الشعب بسبب تظاهرهم بالطاعة والخضوع للحكم

الثوري ، وهتافاتهم بحياة الثورة وبالتدابير التقدمية في الوقت الذي كانوا يعملون فيه على تخريبها ونسفها وعلى توسيع شقة الخلافات بين الحكم التقدمي والجماهير الشعبية العاملة والفلاحين ، وعندما ينتقد احد اعمالهم التخريبية يسلطون عليه العذاب والرقابة ويجيبون بأن الحكومة هي التي تأمرهم بارتكاب تلك المنكرات ، ويتهمون من ينتقد اعمالهم التخريبية بالخروج عن طاعة الحكومة منهم من كان يتظاهر بالغيرة على مصالح الشعب ، غير ان الحكومة على حد زعمه بأجهزتها البيروقراطية هي التي تحيل بينه وبين القيام بواجبه تجاه مواطنيه . لهاذا فقد كانوا على رأي المثل الشعبي - يلعبون على الحبلين -.

اقرضني بعض الاصدقاء أجرة السفر للعمل في فرنسا ، بعدما اقفل هؤلاء المتآمرون كافة ابواب العمل في وجهي بالجزائر ، وحرموني وعائلتي من كل وسيلة للعيش لا في القرية ولا في المدينة ، واصبحوا وكان لهم سوى مراقبتي والاطلاع على كل كلمة الفظها ، وعليه لم ارد الهجرة الى ارض فرنسا وترك بلادي العزيزة الا طلبا للعيش ، وتجنبا لمؤامرات هؤلاء اللصوص المستترين بالوظائف مع انني بدأت منذ عام 1963 في تشجيع العمل الجماعي والسير على هدى المبادىء الاشتراكية ، اي منذ ذهابي الى قرية المزيرعة وتجديد مع باقي السكان بنائها بواسطة العمل الجماعي ، بعدما تركتها الحرب قاعا صفصفا ، لا دار فيها حتى ولا نخلة واحدة ، الى ان وصلتها الحكومة فوجدتها قرية مزدهرة ذات طابع جماعي ، واهتدى السكان بواسطة توجيهاتي الى حفر الابار الارتوازية ، وغرس النخيل من جديد

في نواحي المزيرعة وسيدي الصالح وغيرها وكذلك في سيدي عقبة ونواحيها ، غير ان تكاثر الاعداء على مقاومتي ومقاومة تلك المشاريع ذات الطابع الجماعي ،وانعدام المساعدة والقروض من جانب الحكومة ، حال بيننا وبين انجازها .

طلب مني سكان العرش في قرية المزيرعة ونواحيها ترشيح نفسي لاول انتخابات المجالس الشعبية البلدية 1967 فرفضت ثم اتى نائب الوالي صحبة احد رجال الجيش وطلب من سكان المزيرعة ترشيحي لهذه الانتخابات ، فأجابوهم لقد عرضنا عليه امر ترشيحه فأبى ان يتقدم ، سنكتب له رسالة ، اجاب نائب الوالي ، على ان تكلفوا احدكم بايصالها في باتنة له .

فلما اتى الرسول وقرأت الرسالة وامتثلت لاوامر السلطات المحلية .

وبعد بضعة ايام عقد اجتماع كبير في قرية امشونش لعرض اسماء المرشحين ، وطلب مني نائب الوالي في اريس المشاركة في هذا الاجتماع فرفضت معللا امر رفضي بقولي : اذا حضرت الاجتماع فان المجتمعين سيخجلون من انتقادي في حضوري ، اما في غيابي فانكم ولا شك ستجدون من ينتقد ني ، فأجاب : لم اسمع قط في حياتي مثل هذه الاقوال من احد سواك ، اجل قلت له انني شيوعي احترم حرية انتقادي الذي بدونه يصعب التغلب على مؤامرات الاعداء وتحسين الانتاجية والانتاج ، وستجدون من ينتقدني لكوني شيوعي ، دخل الحاضرون قاعة الاجتماع وبقيت وحدي خارجها

وعند عرض اسماء المرشحين حمى وطيس المعركة ، واخذ المرشحون في هجاء بعضهم بعضا ، وكل منهم يسعى لتقديم نفسه او ترشيح احد انصاره ، واخذت التكتلات الاقليمية والقبيلية تطغى على المناقشة والمجتمعين ، ولما عرض عليهم سي الدراجي ترشيحي بقوله : ماذا تقولون في ترشيح ا لشباح مكي ، فرفض اثنان من المجتمعين ترشيحي وحجتهم الوحيدة هي كوني شيوعيا ، حقا انه شيوعيا اجاب سي الدراجي وقد صرح لنا في رسالته هذه التى وقعها بخط يده بانه شيوعي. ولكن نحن نريد معرفة مواقفة السابقة والحاضرة ، هل كان من اعوان الاستعمار او من اعداء الثورة وهل ان مواقفه اليوم مناهضة لسياسة الحكومة والشعب؟ فأجابوا كلهم ما علمنا عليه من سوء ولا نشهد فيه من هذه الناحية الا الخير.

يبدو لي اجابهم سي الدراجي انه افضل منكم على الاطلاق لان احدا منكم لم يقدم بانتقاد اعماله او بالطعن في ترشيحه بينما ان احدا منكم لم يسلم من الانتقاد والطعن وعند انفضاض الاجتماع مال نحوي نائب الوالي في اريس وكذلك سي دراجي قال لي : لم ينجح احد سواك في هذا الاجتماع لان احدا لم يطعن في ترشيحك ، ولم يتقدم سوى اثنان من المجتمعين للنيل منك بتهمة انك شيو عي ، اجل قلت لهم وقد اعلمتكم مقدما بذلك.

وقبل الانتخابات بيومين سربت اشاعات سرية للفلاحين بان السلطات المحلية الغت ترشيح الشباح مكي لانة شيوعي وحذر الناس من انتخابي ، ولم يدع دوار تاجموت للمشاركة في الانتخابات لان المعروف عنه انه شيوعي ، ولن ينتخب

الشباح مكي . وقد علمت من بعض الفلاحين ممن وعدوني بانتخابي بانه تلقى وزملائه امرا بعدم انتخابي ، وارغمت على التصويت حسب الاوامر المعطاة لنا . انني على علم بهذه المناورات اجبته ، ولهذا حاولت منذ البدء الابتعاد بقدر استطاعتي عن هذه الانتخابات ، لان هؤلاء الخونة الحاقدين على الاشتراكيين ، يهدفون بمثل هذه التصرفات السالفة الحط من معنويات المناضلين التقدميين وارغامهم على الخضوع لمشيئتهم والصمت امام ما يرتكبون من سرقات واختلاسات ومن تعديات على حقوق شعبنا الديمقراطية .

قصدت مكتب الحزب في باتنة فوجدت فريقا من اعضاء الحزب فقلت لهم : ارغمتوني على ترشيح نفسي للانتخابات ولما اجبتكم بأنني كبير السن لا قدرة لي على الحركة والقيام بهذه المهمة ، ورجوتكم ترشيح المناضلين الشبان الجدد قلتم لي : ليس لدينا رجالا مدربون على حل ما يعترض سبيل المجالس الشعبية البلدية من مشاكل يومية ، وفرضتم علي ترشيح نفسي فرضا ، وقبلت هذا الترشيح لماذا اذن ، تتظاهرون علنا في ترشيحي للانتخابات وتطلبون سرا من الناس عدم انتخابي لاني شيوعي ، انكم منذ زمن بعيد تتبعون مثل هذه الاساليب ضدي ولكن هل نجحتم في اساليبكم هذه ؟ هل انقصتم من قدري بين الناس ؟ ثم توجهت الى المسؤول بقولي : لو اتبعت تجاهك نفس الاساليب التي تتبعها تجاهي لما بقيت إلى اليوم في منصبك هذا ، انني منزه عن القيام بمثل هذه الاعمال الدنيئة فأجابني احدهم :

- لا تغضب يا الشيخ لقد نجاك الله من هذا الوظيف ،
- انني قلت له ، لم اطلب هذا الترشيح ، انما هم الذين ارغموني عليه وعلى كل حال لن اترك هذه اللعبة الساقطة

تمر دون رفع الستار عن هؤلاء ذوي الاوجه المتعددة والرسول (ص) يقول : لا تكن ذا وجهين انما المؤمن من ذا وجه واحد وقال ، لعن الله ذي الوجهين - انكم تعرفوني بأجمعكم اني لم اتهالك يوما ما على حب الوظيف والرئاسة ، ولم اتقدم نحوكم بأي طلب من هذا القبيل.

انني عرفت منذ البدء الهدف من تقديمكم بعض المناضلين القدماء لهذه الانتخابات ، لانكم خشيتم مقاطعة الشعب لها لعدم ثقته بكم هذا من جهة ، ولتمرير اصدقائكم في الساعة الاخيرة تحت ستار قدماء المناضلين من جهة اخرى ، تلك هي اهدافكم الشريرة .

طلب الوالي من الشرطة ابعادي من باتنة ، وكان جوابهم هو : ليس باستطاعتنا ابعاده في الوقت الذي نحن فيه ، مكلفون بمراقبة اعماله ، اللهم الا اذا وجدناه يتآمر على امن الدولة ، عندها فقط نعمل على ابعاده او تقديمه للمحاكمة ، اما اذا اردت ابعاده بأمر منك فهذا يتعلق بك وحدك ، عندئذ تراجع الوالي عن عزمه هذا ، واخذ يتآمر على كيفية اخراجي من منزلي الجديد لتقديمه لصديقه مسؤول الحزب الذي اصبح عضوا في المجلس البلدي ومسؤولا حزبيا اما الشباح مكي فهو شيوعيا ، وكم من مرة طلب مني رجال الامن الوطني اقامة ملف بنضالي القديم كما فعل الكثيرون من قدماء المناضلين ، الذين عوضتهم الدولة ما اضاعوه خلال نضالهم السالف ، ولا سيما وانت احق من الكثيرين منهم بهذا التعويض بسبب ماضيك في النضال ضد المحتلين الفرنسيين واعوانهم الاقطاعيين وما لحقك من الاضرار بسبب ذلك النضال من معاملات وسجن وتشريد . الا تشاهدون

اجبتهم ، ما يحيكونه من مؤامرات حولي لاخراجي من منزل قدمته لي الحكومة فكيف باقامة ملف لي . ثم كيف ترون مطالبة الحكومة بتعويض عن نضال قمت به منذ سنين عديدة بملء ارادتي ضد الغاصبين واعوانهم الرجعيين دفاعا عن النفس وحقوق اخواني العمال والفلاحين المتدهورة .
اذن ليس من المعقولان اطالب بشيء لم افكر في المطالبة به طيلة حياتي ، كما لم اقم بذلك الكفاح بمفردي بل مع حزبي الشيوعي الجزائري ، وكان الهدف ليس الحصول على مكافأة وانما من اجل تحرير وطننا من مخالب الغاصبين واعوانهم واقامة العدالة الاجتماعية ، وقدتم هذا التحرير وطننا من مخالب الغاصبين واعوانهم واقامة العدالة الاجتماعية ، وقد تم هذا التحرير والحمد لله واخذ شعبنا يتذوق نعمة الاستقلال والديمقراطية ، وتلك هي اكبر مكافأة.

كان اعوان الاستعمار قبل الثورة يعملون في احسن الاحوال من اجل تثبيط عزيمة المناضلين بأقوالهم : كيف يستطيعون يا زمر المغامرين التغلب على فرنسا ذات الاساطيل الجوية والبحرية ، والارضية ، تلك الاساطيل التي تعززها قوى حلف شمال الاطلسي ، اما انتم ايها الحفاة العراة فانكم عاجزون عن صنع ولو ابرة لترقيع ثيابكم المتهرئة ، بقيت تلك الكلمات تدور في خلدي لم انساها طيلة حياتي. ولحسن الحظ ، التقيت بعد الاستقلال بالبعض من اولائك الذين كانوا يقذفوننا بمثل هذه الاقوال ، وقلت لهم : ها هي الجزائر تحررت قبل ان تصنع الابرة . الم اقل لكم بأن الجزائر ليست بحاجة الى صنع الابر اليوم بل بحاجة الى صنع الرجال

الملتزمين الصناديد وبعث فيهم روح التضحية والايمان الوطني والاستقلال والعدالة الاجتماعية ،الم نكن على حق قلت لهم ، عندما كنا نطالب جماهير شعبنا العاملة والفلاحين باتباع هذه الطريق الكفيلة وحدها بتحرير وطننا ؟ الم نكن على حق عندما نبذنا اقوالكم هذه والقيناها ظهريا ؟ واخذنا في صنع الرجال الذين كنتم تستهزئون بهم وتحتقرونهم ، وتقولون لنا انكم تعلمون البقر وتطرقون حديدا باردا ، كل هذه العبارات وغيرها سمعناها منكم ، عندما كنا نخاطب العمال والفلاحين ، ونعمل على تنظيمهم اليس كذلك ؟ وهل كذبت عليكم ؟ فأجابوا آجل اننا رددنا مثل هذه الاقوال ونسيناها ولكنك لم تنساها واتيت اليوم توبخنا عليها ، حاشا قلت لهم ، انني لا اقصد توبيخكم ، والله على ما اقول شهيد وانما اردت تذكيركم عملا بقوله تعالى : فذكر ، فان الذكرى تنفع المؤمنين ، لكي تعتبروا وتعودوا الى الطريق السوي طالما ان في امكانكم ذلك.

اتاني يوما شابا لا يتجاوز 25 عاما حولا يطلب مني باسم ابيه اطلاعه على تاريخ ونشاط الاحزاب السياسية التي وجدت قبل اندلاع الثورة في الجزائر ولما سألته ، عن السبب اجاب : اريد تأليف كتابا عن تاريخ الثورة الجزائرية لذلك فاني بحاجة الى معرفة العوامل الاساسية التى اسهمت في تفجير هذه الثورة ، ودور الحزب الوطني الاشد تأثيرا على الجماهير فيها ، وقد قيل لي بأنك مناضلا قديما ، وعلى علم بحقائق الاوضاع انئذ ، لذلك قصدتك لمساعدتي في مهمتي هذه بكل سرور اجبته ،لا سيما وان اباك من اصدقائي القدماء،

كان حزب ـ حركة الانتصارللحريات الديمقراطية ـ اكبر حزب وطني قبل الثورة في الجزائر ، ويليه حزب ـ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ـ وكان حزب البرجوازية الجزائرية الناشئة ، وكانت له اتصالات وثيقة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الاصلاحية ، ثم الحزب الشيوعي الجزائري ، وكان يتولى قيادة الحركة النقابية ، ونقابات عمال الزراعة ، وجمعيات صغار الفلاحين والشبيبة الديمقراطية ، اما حزب ـ حركة انتصار الحريات الدمقراطية ـ فقد انشق قبيل الثورة على نفسه عام 1954 الى فريقين متعارضين ، دعي الفريق الاول بفريق المصالين اي اتباع مصالي الحاج زعيم الحزب قبل الانشقاق ، ثم دعي نفسه فيما بعد بـ ـ الحركة الوطنية الجزائرية ـ وذلك اثر مؤتمر عقده هذا الفريق في بلجيكا ، وانتخب مصالي يومئذ رئيس للحزب مدى الحياة .

سألني الشاب عن دواعي ذلك الانقسام واسبابه فأجبته بقولي : كانت لذلك الانقسام عدة اسباب ومنها قرار المركزيين ، وتتألف اكثريتهم الساحقة آنذاك من الشبيبة المثقفة ، للانفتاح نحو باقي القوى والاحزاب الوطنية حتى الجناح الليبيرالي لدى المتوسطين الفرنسيين ، ويقاومون السلطة المطلقة التى كان يحاول مصالي واتباعه فرضها على الحزب. اتهم المركزيون مصالي بالدكتاتورية وبعدم الرؤية الصائبة لتطور النضال الوطني والا جتماعي في الجزائر ، وللتبدل العميق في توازن القوى لصالح الاتحاديين

قوى التحرر الوطني والاجتماعي المتصاعدة ، التى كان مصالي يقف دوما في وجه اتحادها وتلاحمها في النضال اليومي لمجابهة عدوان المستعمرين الفرنسيين وقمعهم المتزايد وانتزاع مكتسبات وطنية واجتماعية جديدة ، كما كان يتجاهل دور الحركة العمالية المتعاظم في هذا النضال. مما كان يؤدي الى عزل حزبه عن باقي القوى الوطنية والاجتماعية وعن الحركة العمالية بالخصوص.

يقال بهذا الصدد ان مصالي كان معارضا لـ ـ الجبهة الوطنية للدفاع عن الحريات واحترامها ـ التى تالفت في شهر اغسطس 1951 من الاحزاب الوطنية الثلاث .
ـ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ـ الاتحاد الدمقراطي للبيان الجزائري ـ الحزب الشيوعي الجزائري والحركة النقابية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الاصلاحية
ـ واتهم مصالي المركزيين بالانحراف عن الخط الثوري والانغماس في المخططات الانتهازية ، ولا سيما فيما يتعلق بمواقف نوابهم في المجالس البلدية وتورطهم في بعض القضايا مع المستوطنين الليبراليين انصار جاك شيفالي الذين كانوا يدعون الى التفاهم والتعاون مع انصاف الثوريين من المثقفين الجزائريين ، ولا سيما من ابناء البورجوازية الكبرى والمتوسطة ، قلت لمحدثي تلك هي بعض الاسباب ، التى ادت الى انشقاق هذا الحزب على نفسه .

ثم سألني الشاب عن معنى الاشتراكية والنظام الاشتراكي ؟
فكان جوابي : تعني الاشتراكية في عصرنا هذا تأميم وسائل الانتاج الاساسية من معامل ومصانع ومؤسسات كبيرة ومواصلات برية وبحرية والتجارة الخارجية منها والداخلية الكبرى مع كافة الثروات الوطنية الطبيعية سواء كانت فوق الارض، او في باطنها ، وتأميم الملكيات الكبرى للاراضي وتوزيعها على الفلاحين المعدمين والفقراء ، وانشاء التعاونيات الفلاحية لتأمين استغلالها ، وجعل كافة هذه التأميمات ملكا للشعب باسره تسيرها الطبقات الكادحة والمنتجة والحكومة الشعبية الديمقراطية المنبثقة منها ، وتعود فوائد مردود الانتاج والتجارة في هذه الحالة لا الى خزائن كبار الملاحين والرأسماليين المستغلين لتبديدها على شهواتهم الخاصة ، بل تعود الى خزينة الدولة اي الامة لكي تصرف على تحسين معاش الكادحين وسبل حياتهم ، و بالاخص بناء المدارس والمستشفيات وديار الثقافة وعمارات السكن للكادحين والطرقات والمصانع الجديدة الى ما هنالك من الاعمال التى تعود بالفائدة على مجموع شعبنا الجزائري وعليه فان النظام الاشتراكي هو خير نظام وجد على وجه الارض في تاريخ المجتمع البشري ، لانه يؤمن تحقيق العدالة الاجتماعية لكافة الكادحين. ولن تتحقق الاشتراكية الا على يد الاشتراكيين الملتزمين وطبقتهم العاملة ، وللاشتراكية شروط كبيرة ومن اهمها وجود حزب الطبقة العاملة الطليعي على رأس الحكم . ولن تتحقق الاشتراكية على ايدي اعدائها من ابناء العناصر الرجعية والبورجوازية واعوانها المحتلين

..

والمنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وبهذا الصدد يقول زعيم الاشتراكية العالمية لنين : اننا نخشى اتساع الحزب اتساعا يفوق الحد ، لان هناك وصوليين ونصابين لا يجدر بهم سوى الاعدام يوميا بالرصاص يسعون من كل بد الى الالتصاق بالحزب الحاكم -(لنين - مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية - ص 39).

يلعب حزب الطبقات الكادحة الطلائعي دورا هاما في انتقاء المناضلين الملتزمين الذين اظهروا اخلاصهم وكفاءتهم في العمل على محك التجربة من خلال القيام بمهام البناء والتنظيم لان الادعاء بالنزاهة والاخلاص وحده لا يكفي وكم شاهدنا من اناس ادعوا الالتزام والنزاهة وظهروا بأنهم خونة لاوطانهم وشعبهم ، واظن انني لست بحاجة الى ذكر اساميهم لانك ولا شك سمعت بهم وشاهدتهم ، حتى وان لم تسمع بهم او تشاهدهم فانهم موجودون في كل مكان ، لا هم لهم سوى التخريب باسم الثورة وضربها في نفس الوقت من الخلف ، بغية العودة باسم الليبيرالية الى نظام الاستغلال الرأسمالي البائد ، ثم قلت لمحدثي اننا لا زلنا في بدء الشوط وستبدي لنا الايام والنضال المستمر من هو المخلص النزيه ، ومن هو المزيف الذي لا يعمل الا لفائدته الشخصية ولفائدة طبقته الانانية ، لا لفائدة الكادحين والمواطنين جميعهم .

اجاب الشاب : اننا نحن الشبان لسنا بحاجة الى المناضلين الشيوخ ولا الى نصائحهم وتجاربهم ، لان افكارهم قد فاتها الزمن ، ولم تعد تصلح لعصرنا الحاضر حسنا ،قلت له ، ولكن لماذا اتيتني وسألتني لا طلعك على ما تجهله من

تاريخ بلادك ، وانا شيخ كبير ومن قدماء المناضلين؟ اليس بامكانك تأليف كتابك هذا دون اللجوء الى الاستماع لاقوالي وشهاداتي ؟ لاشك انك لست على صواب في رأيك هذا وسيؤدي بك خطوك الى الانحراف عن الخط الثوري السوي الذي تبحث عنه ، ويبدو لي حسب اقوالك ان بعض المتزعمين هم الذين لقنوك ، وامثالك من الشباب مثل هذه النظريات لاحكام سيطرتهم على افكاركم وتوجيهكم نحو تنفيذ مآربهم الشخصية واستعمال نفس الطرق التي سيطربها زعيمهم السابق على افكارهم وقادهم الى حمل السلاح ضد ثورة شعبهم بجانب اعدائه المستعمرين . انني قلت له ، لا احتم عليك الاخذ بآرائي وافكاري هذه ، لا سيما وان اباك كما اشرت لي هو الذي ارسلك الي وهو صديق قديم لي ، واذا اطلت عليك الشرح فاني اردت تسليحك بأفكار ونظريات صحيحة ، ولكي لا يقول والدك انني قصرت في اطلاعك على ما تبغيه من الحقائق.

التقيت بهذا الشاب بعد عامين من هذا الحوار ، فبادرني بقوله : انني وافقت على كل ما جاء في حديثك لي وعرفت بتجربتي الخاصة ان المتزعمين هؤلاء كما تدعوهم دانوا يحاولون ابعادنا عن معرفة الحقائق بغية استغلالها لفوائدهم الشخصية وقد ابتعدت بعدما وجدتهم يعملون بالفعل ضد النظام القائم وضد الاشتراكية ، ولا هم لهم سوى الاختلاس اموال الشعب بلا وازع ولا ضمير والاثراء باسرع ما يمكن على حسابه ، اجل اجبته : اريد اطلاعك على وقع لي في يوم من الايام مع الشيخين عبد الحميد بن باديس ، والطيب العقبي طيب الله ثراهما ، عندما التقيت بهما في نادي الترقي

بالعاصمة ، وقالا لي ، انك عضوا في جمعية العلماء ومن المصلحين الذين يتمتعون بثقتنا التامة ، ومطلع على النظام الشيوعي ، لهذا نطلب منك اطلاعنا على النظام ولا سيما فيما يتعلق بمواقفه من ناحية الدين . فأجبتهم بقولي : لم ير المستعمرون الفرنسيون ما يهاجمون به الشيوعية سوى قضية الدين ، لتغطية انذاك تحالفهم مع كبار رجال الكنيسة في روسيا القديمة الذين ربطوا مصيرهم بمصير القيصر الروسي والامبريالية العالمية وقاموا بشدة قوى الطبقات الكادحة الروسيةوالشعوب المستعبدة ،فكان ولا بد ان ينالوا ما نال القيصر الروسي وحلفائه الامبرياليين من المصير ، وبالاخص بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الظافرة 1917.

اما حقيقة وضع الدين في النظام الشيوعي فتشير اليها المادة 124 من الدستور السوفياتي وتنص على حرية الاعتقاد الديني لكافة مواطني الاتحاد السوفياتي ، وتمنع اثارة العدوات والاحقاد بسبب المعتقدات الدينية ولكل مواطن سوفياتي الحق في اعتناق اي دين ، او اقامة الشعائر الدينية ، كما ان له الحق في عدم إعتناق اي دين عملا بقوله تعالى : لا اكراه في الدين ..- وتبعا للمثل العربي المأثور : الدين لله والوطن للجميع . غير انه لا يجوز خلط الدين بالاوضاع الاجتماعية القائمة ، وللمثل لا يجوز للعامل المسيحي او اليهودي او المسلم الدفاع ، بسبب المعتقد الديني عن رب العمل البورجوازي في حالة وقوع خلاف بينه وبين الكادحين الذين لا تدين اكثريتهم بدين رب العمل منعا لاثارة الحزازات الدينية ، وتفرق

صفوف الكادحين المستغلين ، كما انه لا يجوز انتخاب اي انسان على اساس معتقده الديني فقط، او على اساس عدم اعتقاده الديني ، انما على اساس اعماله ودرجة التزامه واخلاصه لقضايا الجماهير الشعبية العاملة و لبناء الاشتراكي ولشعبه ووطنه . ولا يجوز ايضا التسلط على الشعب باسم الدين كما يفعل الطرقيون واعوان السلطات الفرنسية اليوم في بلادنا ، الذين تقاومهم جمعية العلماء لابتداعهم طرق بعيدة عن الدين ، بل وتحرمها الاديان ، ويتهم هؤلاء الطرقيون جمعية العلماء بالمروق عن الدين الاسلامي والالحاد تماما كما يتهمون الشيوعيين بذلك ، وغرضهم هو بقاء جماهير شعبنا العاملة والفلاحين غارقين في الجهل والشقاء بعيدين عن الدين والعلوم والمعارف ، اي بعيدين عن جمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري ، ليسهل لهم وللمستعمرين الفرنسيين امر استغلالهم واستعبادهم بلا منازع مدى الحياة .

اليس من واجبنا ، قلت لهما ، بصفتنا مستعبدين ومحرومين من كافة حقوقنا الدينية والدنيوية ، ان ننظر فيمن هم حلفاؤنا وهم الحركات الشيوعية والحزب الشيوعي الجزائري ، الذين تجمعنا بهم نفس الاهداف ، وان نستعين بهم ونتحد معهم في نضالنا من اجل استرداد حقوقنا وحقوق شعبنا المتدهورة ، بدلا من معاداتهم ومجافاتهم كما يبغي المستعمرون الفرنسيون اعداؤنا واعداؤهم . انا لا اطلب منكما الانخراط في الحزب الشيوعي الجزائري اذا فلربما لا تقبل هذا النظام افكاركما ، لان هناك قضايا لا تجد اقبالا لديكما مع انها غير محرمة في الاسلام . والمثل

العربي يقول : عدو العدو صديق ، اليس كذلك ؟ اجاب أجل هذا مثل معقول لكننا نود معرفة ما هو الشيء الذي لا تقبله افكارنا مع انه غير محرم في الشريعة الاسلامية ، قلت لهما : الانضباط والمثول عندما تأمر الاكثرية رؤساء الحزب بقرار حزبي بالذهاب الى الشوارع والمقاهي والمحلات العامة لبيع جرائد الحزب وادبياته فانهم يمتثلون لقرار الاغلبية فهل باستطاعتكما الخروج لبيع - البصائر - والشهاب في الازقة كما يفعل القادة الشيوعيون؟ اجاب كلا لن نفعل ذلك ، لماذا قلت لهما وهل في ذلك ما يحرمه الشرع والدين؟ اجابا كلا ، لاننا لم نتعود على القيام بمثل هذه الاعمال ان لدي الكثير من هذه الامثلة ، قلت لهما ، الا انني اكتفي بهذا القدر ،انني لم انخرط في هذا الحزب الا بعد ان استهلت مبادئه ومبادىء الاحزاب الوطنية الاخرى القائمة اليوم في الجزائر . فسألاني عن الفرق الذي ينطلق فيه الحزب الشيوعي الجزائري في صراعه مع الاستعمار والرأسمالية من مفاهيم وطنية وثورية واجتماعية من اجل انتزاع التحرر الوطني ، الذي يعتبر لديه مرحلة اولى نحو التحرر الاجتماعي والثورة الاشتراكية ، فانه يتمتع في نفس الوقت كباقي الاحزاب الشيوعية في العالم بالصفات الاممية ولهذا فهو يستبد قواه ليس فقط من اعماق جماهير الشعب الجزائري ، العاملة وفقراء الفلاحين ، بل ومن القوى الثورية والحركة الشيوعية في العالم ، وتلك هي منابع قدرته الخارقة على متابعة النضال الثوري دون هوادة في صراعه ضد المغتصبين من ناحية ، وضد الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي من جهة اخرى، على خلاف القوى الاخرى التي تعتبر الاستقلال

الوطني هو النهاية والحد الاعلى لنضالنا .

ثانيا : ان الحزب الشيوعي الجزائري مبني على اساس الديمقراطية المركزية ، ومعني ذلك ان هيئاته كلها ابتداء من القاعدة الى القمة تقوم على اساس الانتخاب في حالة الظروف العلنية ، وهو الحزب الذي يمثل مصالح الجماهير الكادحة وفقراء الفلاحين في الدرجة الاولى ، ويعمل بدأب واجتهاد على محاربة الاستغلال الاقطاعي والر أسمالي من اجل تحسين حياة الكادحين وظروف عملهم ، ومحاربة الظلم والجهل والاملاق اللاحق بهم ، ليصل في نهاية المطاف الى محو الاستغلا ل الانسان للانسان وبناء الاشتراكية ، الى ما هنالك من فوارق يطول عليكما شرحها .

ولكي تكونا على علم من امري ، قلت لهما ، فانني مسلم وعربي جزائري ، وان مبادىء الحزب الشيوعي الجزائري واعماله تتفق والاسلام ، بل يؤديهما الاسلام ، واولهما التعاون بين المظلومين والضعفاء على مقاومة ظلم الاقوياء الاستعماريين واستغلال حلفائهم الاغنياء ، من الذين فضلوا الحياة الدنيا وزينتها الذين قال فيهم المولى عز وجل : اولائك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحيط ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون "سورة هود" . وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسعى للتآخي بين كافة البشر المحرومين والمعذبين في الارض بصرف النظر عن اديانهم واجناسهم ، وهل في ذلك ما يناقض الدين ؟ وهل تعمل جمعية العلماء على تنظيم العما ل والفلاحين وعلى قيادة نضالهم ضد استغلال المستوطنين الصارخ لهم والدفاع عن حقوقهم ؟ أجابا كلا ، لماذا ، قلت

لهما ، وهل يحرم الدين هذا؟ قالا كلاّ ، لا يحرمه الدين ولكن مهمتنا الدينية لم تترك لنا حتى مجرد التفكير بمثل هذه القضايا . وهذا تفريط منا لاننا لم نخصص وقتا لدراستها ، ولا سيما عندما شاهدنا الحزب الشيوعي يقوم بها على اكمل وجه .

ان هذا لا يكفي ، اجبتهما ان من واجبنا البحث في هذه القضايا التى تتعلق بها حياة الاغلبية الساحقة من جماهير شعبنا ، بدلا من الاقتصار على الامور الدينية وحدها الم يأت الحديث الشريف : اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا . هكذا سبق الحديث الشريف الدنيا على الاخرة وذلك لكي يحثنا قبل كل شيىء على التعاون وما فيه صلاح دنيانا ثم آخرانا ، عملا بالاية الكريمة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان. اي عمل انقى من السعي لانقاذ جماهير الكادحين بتنظيم قواهم وحثهم على النضال للتخلص من شرور الاستعباد الاستعماري واستغلال الاغنياء الرأسماليين وحلفائهم ولتحسين حياتهم ووسائل اعمالهم ، وهل يوجد على وجه الارض افضل من حياة الانسان المنتج الصالح.لانه لا يمكن للعبادة ان تقام بلا حياة ، ولهذا يتطلب الاهتمام بكل ما يتعلق بحياة الناس قبل كل شيىء عملا بالحديث الشريف وهذا ايضا ما يقوم به الشيوعيون في كافة انحاء العالم .

اريد بهذه المناسبة التذكير بالتعاون الفعلي الذي قام بين الحزب الشيوعي الجزائري وجمعية العلماء في قضية اعتقال الشيخ العقبي وصديقه الحميم عباس التركي بتهمة اغتيال الشيخ كحول مفتي الجزائر انذاك ، وما تبع ذلك الاعتقال من محاولة السلطات الفرنسية تعميم القمع

الشرس على كافة القوى الوطنية وتشريد الكثيرين من اعضاء جمعية العلماء ولولا مواقف الحزب الشيوعي الجريئة واليسار الفرنسي لتمكنت السلطات الفرنسية من توجيه اقسى الضربات لمجموع القوى الوطنية والاجتماعية في الجزائر.

اني اقول لكما ، بكل صراحة ان المبادىء المبنية على اساس العدالة الاجتماعية بين الناس ، ومحاربة استغلال الاغنياء الرأسماليين ومناصرة المظلومين والضعفاء هي الاقرب للدين الاسلامي ، الم يأت في قوله تعالى : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين (سورة القصص).

غير ان بعض المسلمين ، قلت لهما ، مع الاسف تركوا هذه الناحية الاجتماعية من الاسلام ، ولم يمارسها في صدر الاسلام سوى الصحابي ابو ذر الغفاري ثم علي ابن ابي طالب رابع الخلفاء المسلمين رضي الله عنهما واهتم الشيوعيون بها وقدموا للطبقات الكادحة والفلاحين اجل الخدمات بعدها ساعدوا على تنظيمهم وتوجيههم ضد اعدائهم الطبقيين ،الذين اغتصبوا حقوقهم وسلبوهم عرق جبينهم ، اليس هذا الكلام بمعقول وليس بدعاية عابرة ؟ ولا بموجة ضد احد شخصيا فاستغربا بأحاديثي هذه وقالا: ما كنا نظن بأنك ستطلعنا على قضايا لم نسمع بمثلها من احد سواك ، ان لنا كامل الثقة بك لاننا شاهدنا اقوالك واعمالك في النادي وفي الدواوير التي نظمت بها نقابات صغار الفلاحين والعمال الزراعيين ، تلك سهلت لنا بناء بعض المدارس في تلك النواحي ، لهذا دعوناك لمقابلتنا والتحدث الينا ، وعلى كل حال فقد اطلعتنا بحديثك الشيق هذا على قضايا كنا في السابق غير

مهتمين بها .

قلت لمحدثي الشاب : كان في ذلك العهد بعض المغرضين الذين همهم غرس بذور التفرقة في صفوف القوى الوطنية والاصلاحية ولا سيما لابعاد الشيخ عبد الحميد بن باديس ، زعيم الحركة الاصلاحية وجمعية العلماء عن الشيخ الطيب العقبي ، كانوا ينشرون اشاعات حول ميول الشيخين السياسية ، فيقولون بان العقبي يؤيد الحزب الشيوعي الجزائري ، بينما يؤيد بن باديس جماعة مصالي الحاج.
غير ان الشيخ عبد الحميد وضع حدا لتلك التخرصات في خطاب القاه انئذ في نادي الترقي جاء فيه : ان من يدعي بوجود خلافات في جمعية العلماء يعمل من حيث يدري او لا يدري على تصديع وحدة الجمعية ، لهذا فاني اعلمكم بأن الشيخ الطيب العقبي هو انا وانا هوالعقبي ، لان العقبي فضل على تجمع العلماء الجزائريين ، ولولاه لما اجتمعنا اليوم في هذا النادي الذي كان مقرا للاغنياء والاعيان فأصبح بفضل جهوده مقرا للجماهير الشعبية كلها فلا يمكننا في مثل هذه الظروف ترك الشيخ العقبي العالم الجليل المخلص والتقي الورع ، ومن واجبكم نبذ هذه الدعايات التى تضر باتحادنا ومجتمعنا الجزائري العربي المسلم...

انني لم اسجل بعض هذه الاحداث للكسب ، بل للكشف امام الاجيال القادمة عن حقائق تاريخية واقعية سواء كانت قبل ثورة اول نوفمبر 1954 وخلالها وما بعد الاستقلال ، تلك الاحداث التى يحاول البعض تزييفها وطمس معالمها ، واذا لم اتوسع في شرحها فان ذلك اقتداء

بالمثل العربي : خير الكلام ما قل ودل ، كما انني لم اقصد من تسجيل مذكراتي هذه الشهرة ولا الحط من قيمة البعض او الرفع من قيمة البعض الاخر لان هذه القضية متروكة لضمير القارىء ولم يخطر لي قط ببال عند قيامي بتسجيلها ، والله على ما اقول وكيل فهو نعم المولى ونعم النصير .

ولله الشكر والحمد لله الذي هداني لهذا ، ونصرني في مواطن كثيرة على اشد الطغاة قسوة وجبروتا ، وابقاني حيا حتى شاهدت بلادي العزيزة حرة مستقلة ، والهمني كتابة هذه المذكرات للاجيال الصاعدة ولا سيما من اخواني العمال والفلاحين ، والمثقفين الثائرين ، لكي يتمعنوا اكثر بماضيهم الثوري المجيد ، ويتجنبوا التفرقة وكل ما يعرقل مسيرهم من اجل توطيدا استقلال بلادهم وبناء وطنهم على اسس ديمقراطية جديدة .

تعلم الجماهير الكادحة في بلادنا ، بأن الشغالين في كل مكان ومن كل شعب ودين هم اخوة تجمعها بهم رابطة النضال المشترك ضد اعدائهم المشتركين ، من امبرياليين واقطاعيين ور أسماليين ، بغية التخلص السريع من نير الاستعباد والاستغلال ، وانتزاع حقوقهم المشروعة العادلة وتحسين سبل حياتهم وشروط اعمالهم .

في الوقت الذي استشهد فيه ملايين الكادحين لانتزاع استقلال بلادها وتأمين حرياتها الديمقراطية وسبل حياتها يعمل الرجعيون المحليون من ملوك وامراء ، وكبار الملاكين وتجار ، في الاقطار التى تمكنوا فيها من الاستيلاء

على زمام السلطة ، على تصعيد استغلالهم ، وطرق اضطهادهم لجماهير الكادحين في بلادهم من اجل توطيد امتيازاتهم المجحفة ، وجر الكادحين كما يقع في المغرب الى تنفيذ اطماعهم التوسية على حساب جيرانهم مثل الصحراء الغربية واقتداء بدولة اسرائيل ، بتشجيع من الدول الامبريالية .

ان من واجب الكادحين في تلك البلاد هو توحيد صفوفهم وتوجيه سلاحهم ضد حكامهم الرجعيين الذين لا يضمرون لهم سوى الموت والفناء ، بعدما كبلت حرياتهم واعتقلوا وقتل زعمائهم المخلصون امثال : بن بركة وزروال ... وكل من رفض الخضوع لسياستهم سياسة النفاق والعمالة للامبرياليين.

لقد مضى الى غير رجعة عهد الاغنياء وتقبيل ايادي واعتاب الحكام الرجعيين من ملوك وامراء وغيرهم ، فلا يجب على الكادحين تقتيل بعضهم بعضا ارضاءا النزوات اعدائهم الرجعيين هؤلاء والامبرياليين حلفائهم . ولا سيما بعدما اظهرت لنا التجارب مدى نفاقهم وحرصهم على استغلالنا فلا تغرنا ابتساماتهم المسمومة ، وشعاراتهم المزيفة التى يخفون خلفها اطماعهم الاحتلالية وعدوانهم على تراب الغير ونهب ثرواته ، فلن يصبح هؤلاء الاعداء اصدقاء لشعوبنا حتى ولو تكلموا باسمها ، وعليه يتوجب علينا الحذر لكي لا تقع مرة اخرى فريسة اطماعهم بعد الذي قاسيناه تحت نير استعبادهم واستغلالهم .شاهدنا الكثير من الفئات الرجعية خلال حرب التحرير تصوب اسلحتها

ضد ثورتنا ومجاهدينا ، وبالرغم من شعور هاته الفئات باليتم بعد اجتثاث جذور الاستعمار من بلادنا ، الا اننا شاهدناها بعد الاستقلال مرة اخرى تتسرب الى المواقع الهامة في الاجهزة الحكامية ، والشركات الوطنية بهدف الانتقام من الثورة مرة اخرى بتمهيد الطريق امام المشاريع الرجعية الهادفة للاستيلاء بصمت وحذر على زمام السلطة و العودة بشعبنا باسم الليبيرالية الى عهد الاستغلال الامبريالي والرأسمالي البغيض لثروات بلادنا ولجماهير شعبنا الكادحة .

ولو وجد هؤلاء المحتالون والمتذبذبون ممن ينتمون الى كبار الملاكين والبرجوازية والبيروقراطية ، والتجار الكبار ومن لفهم ، من يتصدى لهم يكشف امام الشعب عوراتهم وتواطئهم مع المستعمر الغاصب ويقاوم اطماعهم لما تمكنوا من التغلغل الخطير في اجهزة الدولة والشركات الوطنية مع انهم كانوا من اسباب اطالة امد الاستعمار في بلادنا رغم ادعاءاتهم الاشتراكية والمبادىء للثورة وبصددهم جاء في قوله تعالى : ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون (سورة البقرة) .

اليس من واجب الحكومات التقدمية والثائرين في كل مكان التحلي باليقظة والحذر تجاه هاته العناصر المسممة الضارة التى من شيمتها التبذير والفساد ونشر

الفوضى اينما وجدت وهدفها الاسمى القضاء على القطاع العام والثورة الزراعية والعودة بالشعب الجزائري الى عهد الرأسمالي . هاته العناصر التى ذكرها القرآن بقوله تعالى : اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوانما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون. (سورة البقرة) والوقوف صفا منيعا في وجه تسللها الى مراكز الهامة في الاجهزة الحكومية والحزبية والجماهيرية وابعادها ، وذلك بتوحيد جهود كافة الثوريين على مختلف مشاريعهم السياسية وميولهم ، في رابطة وطنية موحدة كأفضل واضمن طريق لتأمين مستقبل ثورتنا وازدهارها .

يتطلب منا العهد الجديد عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذي انقسم فيه العالم الى نظامين متعارضين ، النظام الراسمالي والامبريالي الذي تمثله الامبريالية الامريكية وحلف شمال الاطلسي ، المبني على التسلط والعنصرية والاستغلال والعدوان ، والنظام الاشتراكي الذي يمثله الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو ، المبني على السلم وتصفية الاستعمار أينما وجد ، وحق الشعوب كلها في تقرير مصيرها بنفسها ، والتعايش السلمي فيما بينها وحل كافة المشاكل بالطرق السلمية ، ثم بروز ما يسمى بالعالم الثالث الذي اصبح يتمتع من خلال التقدمية بنفوذ مرموق في العالم كله ، وبكفاحه المتتابع من اجل تحقيق استقلاله الاقتصادي واقامة اقتصاد عالمي جديد مبني على اسس العدل والتعاون ، ومقاومة للانظمة العنصرية والاستعمار الجديد بكافة اشكاله .

يتطلب هنا هذا العهد كبلد قائم بثورة على انظمة الاستعباد والرجعية ويسعى لبناء الاشتراكية والقضاء على استغلال الانسان للانسان ، التوجه نحو حلفائنا الطبيعيين الاقطار الاشتراكية و الاتحاد السوفياتي على الخصوص وتجنب الانزلاق نحو التحالفات الرجعية المؤدية في نهاية المطاف الى مساعدة الامبريالية الامريكية ودولة اسرائيل على تصفية القضية الفلسطينية في الشرق الاوسط من ناحية وتصفية شعب الصحراء الغربية ، وحرمان شعبها من حق تقرير مصيره بنفسه بعدما اصبح معترفا به دوليا ، وتصفية في نفس الوقت الانظمة التقدمية على الخصوص الجزائر ، وهذا ما يتمناه ويصبو اليه ولا سيما المستعمرون الفرنسيون.

والغريب هو التقارب القائم بين اهداف الرجعيين السعوديين الساداتيين في المشرق والرجعيين الملكيين في موريطانيا والمغرب. اذ في الوقت الذي يفتح فيه السادات بدعم من السعوديين ابواب القطر المصري امام الامبرياليين الغربيين والامريكيين على الخصوص ، ويتحالف ضما واحيانا علنا معهم على دعم العدوان الاسرائيلي من جهة وتصفية القضية الفلسطينية من جهة اخرى ، ويهاجم بشراسة صديق الشعب العربي الحميم الاتحاد السوفياتي وباقي النظم الاشتراكية ، ويتصدى بعنف لقوى الشعب المصري التقدمية وقد ساعد بتصرفاته هذه على اثارة مشاكل جانبية جديدة ترمي الى تشتيت شمل الشعوب العربية وتمزيق وحدتها ، وعلى سبيل المثال ، الاقتتال في لبنان بينما لا تزال جيوش الاحتلال الاسرائيلية جاثمة فوق التراب المصري في سينا وباقي الاراضي العربية المحتلة حديثا ومنذ 1967 في نفس الوقت استنجدت الرجعية المغربية والموريطانية

على رأسها الحسن الثاني ملك المغرب بالامبريالية العالمية والفرنسية في مقدمتها ، لتوطيد احتلال جيوشها لتراب الشعب الصحراوي ، وابادة مقاومة الجريئة بعدما أخذت توجه للجيشين المغربي والموريطاني اقسى الضربات وترغمهما على الانزواء داخل الثكنات ، وتسبب في الوقت نفسه للنظامين المغربي والموريطاني افدح الخسائر في الاعتدة والارواح ، مما ضاعف في خطورة الازمة الاقتصادية الغارقين في ثناياها .

ان هدف الرجعيين المغاربة والموريطانيين الاساسي من عدوانهم هذا ، واستنجادهم ولا سيما بالمستعمرين الفرنسيين الذي لا يزالون يمنون انفسهم بالعودة للجزائر ليس تصفية شعب الصحراء فحسب ، بل وتطويق الثورة الجزائرية وشعبها المقدام ، بغية تصفية نظامها التقدمي الذي اخذ يقلق مضاجعهم بما يحققه من اهم المنجزات الوطنية والديمقراطية في سائر الميادين الصناعية منها والزراعية والثقافية والعلمية وبما يخلفه هذا النظام من اوعص المشاكل لهم لدى الشعبين الشقيقين المغربي والموريطاني ، الذين يتطلعان لهذه الانجازات ويطمحان في تحقيق مثلها في اقطارهما ، ولاعودة بالجزائر الى عهد الاستغلال الامبريالي والرأسمالي البائد ، واحتلال قسم من ترابها .

ان الحكام الرجعيين العرب في مشارق الارض ومغاربها بسيرهم الحثيث في ركاب الامبرياليين على درجات مقاولة ضد ارادة شعوبهم ، وبمواقفهم العدائية ازاء تطلعاتها نحو تحقيق المزيد من مكتسباتها الثورية والديمقراطية ووحدتها ، وبمقاومتهم للقضية الفلسطينية ، او تخليهم

بمختلف الطرق عن مساندتها ، بعدوانهم على شعب الصحراء الغربية ، ينبتون كل يوم اكثر مدى الخيانة التي اسقطوا في شباكها قضايا شعوبهم وانزلاقاتهم في صفوف اعدائها الامبرياليين. وذلك في الوقت الذي تحقق فيه المقاومتان الفلسطنية والصحراوية انتصارات هامة من الناحيتين العسكرية والدبلوماسية بانتزاعهما اعترافات وبالاخص المحافل الدولية وفي مقدمتها هيئة الامم المتحدة ، بعدالة قضاياهما ، وبحق الشعبين الفلسطني والصحراوي بالعودة الى تراب وطنهما واقامة دولتيهما وحقهما في تقرير مصيرهما .

تتمتع المقاومة الفلسطنية اليوم رغم مؤامرات الامبرياليين والصهيونية العالمية ، ورغم مناورات الحكام الرجعيين العرب بفضل صمودها بدعم قوي التحرر الوطني في لبنان وباقي الاقطار العربية والحكام التقدميين العرب ، والاقطار الاشتراكية الحليفة والاتحاد السوفياتي في مقدمتها وبنفوذ عالمي متصاعد ، ويزداد اشعاعها ويمتد يوما بعد يوم الى مختلف عواصم العالم ، وما تلقاه من ضروب العطف المتزايد والاعجاب لدى شعوب العالم كافة لمن الشواهد على هذه الحقيقة

فليحذر الرجعيون المغامرون المغاربة والموريطانيون ولا سيما الحكام الفرنسيون الحاليون من نتائج قهورهم وتهديداتهم بمجابهة تراث الجزائر ، بعدما اعجزوا عن الصمود امام مقاومة الشعب الصحراوي الاسطورية ، فالجزائر ليست الزائير، ان في الجزائر شعب وطد العزم على الدفاع وبكل قواه عن مكتسابته الثورية الديمقراطية وعن كل شبر من

تراب وطنه الطاهر ، والجزائريون كما عهدتهم السلطات الاستعمارية الفرنسية من اشد المقاومين لاستعمارها واصلبهم عودا، وفيهم قال الشعر العربي :

قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة
يوما ، وان حكموا كانوا موازينا
تدرعوا العقل جلبابا فان حميت
نار الوغى خلتهم فيها مجانينا .

وعدا ذلك، فان للشعب الجزائري خلفاء اشداء في شخص قوي التحرر الوطني والشعوب العربية وكل الشعوب بما فيها الشعب الفرنسي ، والبلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي الجبار وكافة قوى الحرية والسلم في العالم .

1977.10.20

انجز طبعه على حساب المؤلف في
مطبعة الكاتب
الجزائر سبتمبر ١٩٨٦

Yahia Ahmed

يحي أحمد

مذكرات مناضل أوراسي

الشباح المكي

Scanné Par : Mazigh YAHIA